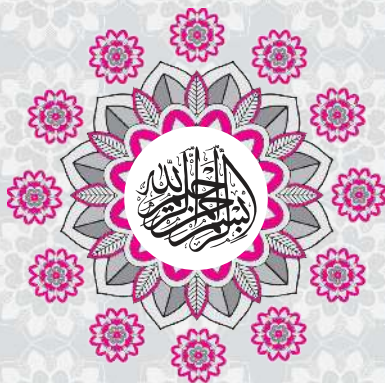


﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾



كِتَابُ
لَيْتَكَ تَوْمَنُ

Yayında Mihenk Tasy

الغرباء
guraba

مكتبة النشر الإلكترونية

حقوق الطبع مهداة لكل مسلم

ISBN:978-605-2107-80-5

الطبعة الثالثة

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م



GURABA YAYINCILIK TİC. LTD. ŞTİ.



الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



Başakşehir Mh. Sabahattin Zaim Cad.

Life Park Evleri No: 8/G

Başakşehir/ İstanbul



مكتبة الغرباء

(+90) 212 526 06 05



@guraba_arabic

(+90) 536 065 04 04



@guraba_arabic

guraba@hotmail.com



@Guraba_Arabic

www.alguraba.com



BASKİ:StepAjans:İnönüCad.No:78
Bağcılar/İstanbulYayınSertifikaNo:45522



كتوووووولله لاج
لَيْتَكَ تُوْمِنُ

جَمْعُهُ

علي خليل

الغُرَبَاءُ
guraba





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبَّنَا اقْتَرِنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

اللَّهُمَّ انْفَعْ بِهِذَا الْكِتَابَ نَفْلَهُ وَقَارُهُ وَرَحْمَةً وَنَائِرَةً
وَلِجَنَّةٍ لَوْضَائِكَ خَالِصًا
لَكَ مِنْ

يُهْدَى وَلَا يُبَاعُ

بِحَوْلِ اللَّهِ وَقَدْ لَمْ يَجْعَلْهُ لِمَنْ يَبِيعُ كَقَوْلِهِ لَا





مُقَدِّمَةٌ



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ
الْمُرْسَلِينَ، وَقُدُوةِ الصَّالِحِينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ،
وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ وَالَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

اِقْتَدَى السَّلَفُ الصَّالِحُ ﷺ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَخَلَّقُوا
بِأَخْلَاقِهِ، وَامْتَثَلُوا بِأَوَامِرِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَى عَنْهُ. وَكَانُوا كَمَا
قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

كَانَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ ﷺ يَتَعَلَّمُونَ تَعَالِيمَ الدِّينِ تَدَرُّجًا،
وَكَانَ هَمُّهُمْ تَطْبِيقَ مَا تَعَلَّمُوهُ وَاسْمَعُوهُ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ، ثُمَّ يَتَتَقِلُونَ
إِلَى أَمْرِ آخَرَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ يُلَاحِظُهُمْ وَيَهْدِيهِمْ بِالرَّفْقِ
وَاللِّينِ، وَيَأْمُرُهُمْ بَعْدَ الْغُلُوِّ؛ فَكَانُوا أُمَّةً هُدَاةً لِلْعَالَمِينَ.



يَقُولُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ؛ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ^(١)؛ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا^(٢).

أَي: إِنَّهُمْ تَعَلَّمُوا أَسَاسِيَّاتِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَهِيَ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَتَعَلَّمُوا هُمْ صِغَارًا. ثُمَّ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَقَرَّوْهُ وَتَدَارَسُوهُ وَتَدَبَّرُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ فَازْدَادَ إِيمَانُهُمْ، وَقَوِيَتْ عَقِيدَتُهُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ

عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَالْيَوْمَ نَرَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَعْمَلُونَ خِلَافَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ؛ فَيَبْدُؤُونَ بِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ قَبْلَ تَرْسِيخِ أَحْكَامِ الْإِيمَانِ وَمُقْتَضِيَاتِهِ.

(١) (حَزَاوِرَةٌ): جَمْعُ حَزَوْرٍ، وَالْحَزَوْرُ: الْعُلَامُ إِذَا اشْتَدَّ قَوِيَّ وَقَارَبَ الْبُلُوغَ.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ: ٥٢.

يقول الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ؛ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنه مُوَضَّحًا هَذِهِ الْمَعَانِي: لَقَدْ عَشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا، وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِيلُ السُّورَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله فَيَتَعَلَّمُ حَالَهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمْ الْقُرْآنَ. ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ؛ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَجْرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ ^{(١)(٢)}.

وفي رواية: وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ.

فترتيبُ الأولوياتِ وتحديدُها عندَ تربيةِ النَّشءِ ضروريٌّ؛ فيأخذُ الجانبُ الْإِيمَانِيَّ الْحَيِّزَ الْأَوَّلَ مِنْ حَيَاتِهِمْ الْعَمَلِيَّةِ.

فهذه رسالةٌ - صَغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَا مُفِيدَةٌ فِي بَابِهَا - جُمِعَتْ فِيهَا أَقْوَالًا، وَحِكْمًا، وَأَحْدَاثًا؛ مُخْتَصَرَةً مِنْ أُمَمَاتِ الْكُتُبِ،

(١) الدَّقْلُ مِنَ التَّمْرِ: هُوَ أَرْدَأُ أَنْوَاعِهِ. وَاحِدَتُهُ دَقْلَةٌ، وَيُقَالُ: قَدْ أَذْقَلَ النَّخْلُ.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة): المستدرک على الصحيحين، ١/ ٣٥، ووافقه الذهبي.



والمراجعِ القِيَمَةِ^(١). رَجَاءُ الانتِفَاعِ، والعملِ بها لـ «يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ
مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ». وَسَمَّيْتُهَا: «لَيْتَكَ
تُؤْمِنُ».

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ، أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي خَالِصًا لَوَجْهِهِ
الكَرِيمِ، وَأَنْ يَدْخِرَهُ فِي مِيزَانِ أَعْمَالِي لِيَوْمِ الدِّينِ، وَيَنْفَعَ بِهِ
عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . اللَّهُمَّ آمِينَ!

علي خليل

٢ / ٢ / ٢٠٢١ م

٢٠ / ٦ / ١٤٤٢ هـ

(١) قَالَ حَبْرُ الْأُمَّةِ؛ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: (الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ؛ فَخُذُوا
مِنْهُ أَحْسَنَهُ) «جامع بيان العلم وفضله»: ١ / ٢٠٩، تأليف: يوسف بن عبد البر،
متوفى ٤٦٣ هـ.

لَا يَحْصُلُ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بَعْدَ الزُّهْدِ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله عَنِ الْإِخْلَاصِ:
 وَطَرِيقُ التَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الْأَفَاتِ كُلِّهَا: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا
 يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].
 وَلَا يَحْصُلُ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بَعْدَ الزُّهْدِ، وَلَا زُهْدٌ إِلَّا بِتَقْوَى،
 وَالتَّقْوَى مُتَابَعَةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ^(١).



(١) «مجموع الفتاوى»: ٩٤/١، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد
 الحلیم بن عبد السلام الحراني رحمته الله، متوفى ٧٢٨هـ.



نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ

قال الإمام التَّابِعِيُّ؛ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمته الله:

نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ؛ فَاتَّخَذَ النَّاسُ تِلَاوَتَهُ عَمَلًا ^(١).

وقال الإمام ابنُ الْقَيِّمِ رحمته الله عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ رحمته الله:

وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ الْعَامِلُونَ بِهِ، وَالْعَامِلُونَ بِمَا فِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْفَظُوهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَأَمَّا مَنْ حَفِظَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ؛ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَإِنْ أَقَامَ حُرُوفَهُ إِقَامَةً السَّهْمِ ^(٢).

(١) «تأويل مُشْكَل القرآن»: ص ١٨١، للعلامة الكبير أبي محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوْرِيِّ رحمته الله، ت ٢٧٦هـ.

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد»: ١/ ٣٢٣. للإمام الفقيه أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدَّمَشَقِيِّ الحنبلي، المعروف باسم ابن قيم الجوزية رحمته الله، متوفى ٧٥١هـ.

ليكن همّه في إحكامه

قَالَ الْعَابِدُ الرَّبَّانِيُّ؛ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ رحمته الله:
 اتَّقِ اللَّهَ! أَنْ لَا تَسُبَّ إِبْلِيسَ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَأَنْتَ صَدِيقُهُ فِي
 السِّرِّ.

وَيَقُولُ رحمته الله: لَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ فِي كَثْرَةِ الْعَمَلِ، وَلَكِنْ
 لِيَكُنْ هَمُّهُ فِي إِحْكَامِهِ وَتَحْسِينِهِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يُصَلِّيَ وَهُوَ
 يَعْصِي اللَّهَ فِي صَلَاتِهِ، وَقَدْ يَصُومُ وَهُوَ يَعْصِي اللَّهَ فِي
 صِيَامِهِ ^(١).



(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ١١٦/٨، للحافظ أبي نُعَيْمٍ أَحْمَدَ بْنَ
 عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْفَهَانِي، متوفى ٤٣٠هـ.



مَحَبَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ

قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ؛ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه:
 اطْلُبُوا الْعِلْمَ. فَإِنْ عَجَزْتُمْ؛ فَأَحْبُوا أَهْلَهُ. فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ؛
 فَلَا تُبْغِضُوهُمْ.

وَقَالَ رضي الله عنه: لَا يَكُونُ عَالِمًا؛ حَتَّى يَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلَا
 يَكُونُ عَالِمًا؛ حَتَّى يَكُونَ بِالْعِلْمِ عَامِلًا.

وَعَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ: أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ، كَانَ يَقُولُ:
 إِنَّكَ لَنْ تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ؛ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا ^(١).



(١) «كتاب الطبقات الكبير»: ص ٣٠٨، لمحمد بن سعد بن مَيْع البصري الزُّهري،
 المشهور بابن سعد رضي الله عنه، متوفى ٢٣٠ هـ.



خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟!



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ. فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلَّنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! فَقَالَ: وَاللَّهِ! لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ - أَوْ لَا يَدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ - فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْ بَقِيَ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ^(١). أَي: حَبِطَ عَمَلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) «سنن أبي داود»: ٤٩٠١.



﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾

قال ابن هشام رحمته الله: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ؛ فَلَمَّا قَدِمَ مَآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ - وَبِهَا يَوْمُئِذٍ الْعَمَالِيقُ، وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاقٍ، وَيُقَالُ: عَمْلِيقُ بْنُ لَأَوْدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ - رَأَاهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَرَأَكُمْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا لَهُ: هَذِهِ الْأَصْنَامُ نَعْبُدُهَا فَنَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، وَنَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصِرُنَا.

فَقَالَ لَهُمْ: أَفَلَا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا فَأَسِيرُ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ فَيَعْبُدُونَهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا، يُقَالُ لَهُ: هُبْلُ.

فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ فَنَصَبَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاتَّخَذُوا إِسَافًا وَنَائِلَةَ عَلَى مَوْضِعِ

زَمَزَمَ يَنْحَرُونَ عِنْدَهُمَا، وَكَانَ إِسَافُ وَنَائِلَةُ رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمِ؛ هُوَ إِسَافُ بْنُ بَغِيٍّ، وَنَائِلَةُ بِنْتُ دِيكٍ، فَوَقَعَ إِسَافُ عَلَى نَائِلَةَ فِي الْكَعْبَةِ؛ فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ حَجَرَيْنِ.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رحمته الله: وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَا كَانَتْ عِبَادَةُ الْحِجَارَةِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ عليه السلام، أَنَّهُ كَانَ لَا يَطْعَنُ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ مِنْهُمْ، حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ، وَالتَّمَسُّوا الْفَسَحَ فِي الْبِلَادِ؛ إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ؛ فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ، حَتَّى سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنْ الْحِجَارَةِ وَأَعْجَبَهُمْ.

حَتَّى خَلَفَ الْخُلُوفُ، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عليه السلام غَيْرَهُ، فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ، وَصَارُوا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ مِنَ الضَّلَالَاتِ، وَفِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا: مِنْ تَعْظِيمِ الْبَيْتِ، وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى عَرَفَاتٍ

وَالْمُزْدَلِفَةِ وَهَدْيِ الْبُذْنِ وَالْإِهْلَالِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَعَ إِدْخَالِهِمْ
فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

فَكَانَتْ كِنَانَهُ وَقُرَيْشٌ إِذَا أَهَلُّوا قَالُوا: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ،
لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ.

فَيُوحِّدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ مَعَهُ أَصْنَامَهُمْ، وَيَجْعَلُونَ
مِلْكَهَا بِيَدِهِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِمُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

أَيُّ: مَا يُوحِّدُونَنِي لِمَعْرِفَةِ حَقِّي؛ إِلَّا جَعَلُوا مَعِيَ شَرِيكًا
مِنْ خَلْقِي ^(١).



(١) «السيرة النبوية»: ٧٠ / ١، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري
البصري، متوفى ٢١٨ هـ.



إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ



رُويَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه صَرَّ ^(١) أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ.
وَقَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ تَرَبَّصْ
عِنْدَهُ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً؛ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ بِهَا.
فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ؛ اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَوَائِجِكَ.
قَالَ: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ.

ثُمَّ دَعَا بِجَارِيَّتِهِ، وَقَالَ لَهَا: اذْهَبِي بِهِدِ السَّبْعَةَ إِلَى فُلَانٍ،
وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةَ إِلَى فُلَانٍ؛ حَتَّى أَنْفِذَهَا.
فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ وَأَخْبَرَهُ.

(١) أي: كيسًا توضع فيه النقود.



فَوَجَدَهُ قَدْ عَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ .
 فَقَالَ لَهُ: انْطَلِقْ بِهَا إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَانْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْ
 أَمْرِهِ. فَمَضَى إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: كَمَا قَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ .
 فَفَعَلَ مُعَاذٌ، كَمَا فَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ .
 فَرَجَعَ الْغُلَامُ فَأَخْبَرَهُ عُمَرُ .
 فَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
 عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ^(١) .
 قال ابن حزم: أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه
 على العدل وحُبِّه، وعلى الحق وإيثاره ^(٢) .



(١) «المستطرف في كل فنٍّ مستظرف»: ص ١٠١، للإمام شهاب الدين أبي الفتح
 محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي رحمته الله، متوفى ٨٥٢هـ .
 (٢) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس»: ص ١٤٥، أبو حزم الأندلسي .

فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اسْتُصْغِرَ

عِنْدَمَا وُلِّيَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ، وَسِنَّهُ عِشْرُونَ
أَوْ نَحْوُهَا: فَاسْتُصْغِرَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ! فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ:

كَمْ سِنُو الْقَاضِي؟! فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اسْتُصْغِرَ، فَقَالَ لَهُ:

أَنَا أَكْبَرُ مِنْ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ، الَّذِي وَجَّهَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
قَاضِيًا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ.

وَأَنَا أَكْبَرُ مِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ؛ الَّذِي وَجَّهَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
قَاضِيًا عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ.

وَأَنَا أَكْبَرُ مِنْ كَعْبِ بْنِ سُورٍ؛ الَّذِي وَجَّهَ بِهِ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَاضِيًا عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ ^(١).

(١) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قضاة العلماء من غير أهلها
ووارديها»: ٢٩١/١٦، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت
الخطيب البغدادي رحمته الله، متوفى ٤٦٣ هـ.

مثل لعلماء السوء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَلْهَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

قَالَ الْعَابِدُ الرَّبَّانِيُّ؛ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ رحمته الله:

ضُرِبَ مَثَلٌ لِعُلَمَاءِ السُّوءِ، فَقِيلَ:

إِنَّمَا مَثَلُ عَالِمِ السُّوءِ؛ كَمَثَلِ الْحَجَرِ فِي السَّاقِيَةِ.

فَلَا هُوَ يَشْرَبُ الْمَاءَ.

وَلَا يُخَلِّي الْمَاءَ إِلَى الشَّجَرَةِ. فَتَحْيَا بِهِ ^(١).



(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٨ / ١١٠، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، متوفى ٤٣٠ هـ.

خَمْسَةَ دَرَاهِمَ عَلَى قَدَحٍ وَاحِدٍ مِنْ مَاءٍ

عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَنِيفَةَ يَقُولُ:

اِحْتَجْتُ إِلَى مَاءٍ بِالْبَادِيَةِ؛ فَجَاءَنِي أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ قِرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ، فَأَبَى أَنْ يَبِيعَهَا إِلَّا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ؛ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ، وَقَبَضْتُ الْقِرْبَةَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَعْرَابِيُّ! مَا رَأَيْكَ فِي السَّوِيقِ - حَلْوَى -؟

فَقَالَ: هَاتِ. فَأَعْطَيْتُهُ سَوِيقًا مُلْتَوِيًا بِالزَّيْتِ؛ فَجَعَلَ يَأْكُلُ حَتَّى امْتَلَأَ، ثُمَّ عَطِشَ. فَقَالَ: شُرْبَةُ؟

قُلْتُ: بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ، فَلَمْ أَنْقُصْهُ مِنْ خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ عَلَى قَدَحٍ مِنْ مَاءٍ؛ فَاسْتَرَدَدْتُ الْخَمْسَةَ، وَبَقِيَ مَعِيَ الْمَاءُ^(١).

(١) «الأذكياء»: ص ٦٣، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي، المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.



رَجَعَتِ الْحِيلَةُ عَلَيْهِ

رُوي؛ أَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ:
كَانَ فِي حَبْسِ الْحَجَّاجِ، وَكَانَ يُعَذِّبُهُ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ مَاتَ
مِنَ الْحَبْسِ رُفِعَ خَبْرُهُ إِلَى الْحَجَّاجِ؛ فَيَأْمُرُ بِإِخْرَاجِهِ وَتَسْلِيمِهِ
إِلَى أَهْلِهِ.

فَقَالَ بِلَالٌ لِلْسَّجَّانِ: خُذْ مِنِّي عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَأَخْرِجْ
اسْمِي إِلَى الْحَجَّاجِ فِي الْمَوْتَى؛ فَإِذَا أَمَرَكَ بِتَسْلِيمِي إِلَى أَهْلِي
هَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ، فَلَمْ يَعْرِفِ الْحَجَّاجُ خَبْرِي، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ
تَهْرُبَ مَعِيَ فَافْعَلْ، وَعَلَيَّ غِنَاكَ أَبَدًا.

فَأَخَذَ السَّجَّانُ الْمَالَ، وَرَفَعَ اسْمَهُ فِي الْمَوْتَى.
فَقَالَ الْحَجَّاجُ: مِثْلُ هَذَا! لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى أَهْلِهِ
حَتَّى أَرَاهُ؛ هَاتِهِ.

فَعَادَ إِلَى بِلَالٍ. فَقَالَ: أَعْهَدْ. قَالَ: وَمَا الْخَبْرُ.

قَالَ: إِنَّ الْحَجَّاجَ، قَالَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِنْ لَمْ أُحْضِرْكَ إِلَيْهِ
مَيِّتًا قَتَلَنِي، وَعَلِمَ أَنِّي أَرَدْتُ الْحِيلَةَ عَلَيْهِ، وَلَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَكَ
خَنْقًا.

فَبَكَى بِلَالٌ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ. فَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ
طَرِيقٌ. فَأَوْصَى وَصَلَّى.

فَأَخَذَهُ السَّجَّانُ، وَخَنَقَهُ، وَأَخْرَجَهُ إِلَى الْحَجَّاجِ؛ فَلَمَّا
رَأَاهُ مَيِّتًا، قَالَ: سَلَّمَهُ إِلَى أَهْلِهِ.

فَأَخَذُوهُ وَقَدْ اشْتَرَى الْقَتْلَ لِنَفْسِهِ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ،
وَرَجَعَتِ الْحِيلَةُ عَلَيْهِ^(١).



(١) «الأذكياء»: ص ١٥١، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
القرشي البغدادى المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.



لَيْلًا يُفْسِدَ عَلَيْكَ دِينَكَ

كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ؛ قَبَّاثُ بْنُ أَشِيمَ بْنِ عَامِرِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه:
 إِمَامَ مَسْجِدِ مِصْرَ، وَكَانَ يُقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي الْجَامِعِ. وَأَنَّ
 الرُّومَ أَسْرَتَهُ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. وَجَرَتْ لِلرُّومِ
 مَعَهُ قِصَّةٌ، فِيهَا أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَمَرَهُ لِمُنَاطَرَةِ الْبَطْرِيقِ.

فَقَالَ لِلْبَطْرِيقِ: كَيْفَ أَنْتَ، وَكَيْفَ وَلَدُكَ؟

فَقَالَ الْبَطَارِيقَةُ: مَا أَجْهَلَكَ! تَزْعُمُ أَنَّ لِبَطْرِكَ وَلَدًا، وَقَدْ

نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ!

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: أَتَنْزَهُونَ الْبَطْرِكَ عَنِ الْوَلَدِ، وَلَا تُتَزَّهُونَ

اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ خَالِقُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ عَنِ الْوَلَدِ؟

قَالَ: فَنَخَرِ الْبَطْرِكَ نَخْرَةً عَظِيمَةً. وَقَالَ: أَخْرِجْ هَذَا هَذِهِ

السَّاعَةَ عَنْ بَلَدِكَ لَيْلًا يُفْسِدَ عَلَيْكَ دِينَكَ؛ فَأُطْلِقَهُ ^(١).

(١) «تهذيب التهذيب»: ٣/ ٤٢٤، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر

شهاب الدين العسقلاني الشافعي، متوفى ٨٥٢هـ.

وَقَعَتِ الْهَيْبَةُ لِلْمَلِكِ

رُوي أَنَّ الْمَلِكَ عَضَدَ الدَّوْلَةَ؛ بَعَثَ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ
الْبَاقِلَانِيَّ فِي رِسَالَةٍ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ.

فَلَمَّا وَرَدَ مَدِينَتُهُ أَخْبَرَ الْمَلِكُ بِتَبَحُّرِهِ فِي الْعِلْمِ؛ فَعَلِمَ
الْمَلِكُ أَنَّهُ لَا يَخْدُمُهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَلَا يَنْحَنِي لَهُ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ
أَنْ يُوضَعَ سَرِيرُهُ فِي مَوْضِعٍ، وَجَعَلَ لِلْمَوْضُوعِ فِي مُقَابِلِهِ بَابًا
لَطِيفًا صَغِيرًا يَحْتَاجُ الدَّاخِلُ فِيهِ إِلَى الْإِنْحِنَاءِ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْبَابِ فَكَّرَ، فَعَرَفَ
الْقِصَّةَ، فَأَذَارَ وَجْهَهُ عَنِ الْبَابِ، وَدَخَلَهُ مَعْكُوسًا، وَجَعَلَ
ظَهْرُهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَلِكِ؛ فَوَقَعَتِ الْهَيْبَةُ لِلْمَلِكِ^(١).



(١) «الأنساب»: ص ٢٦٦، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور
التميمي السمعاني المروزي، متوفى ٥٦٢هـ.



لَيْسَ التَّقِيَّةُ بِالْعَمَلِ إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ

قال الله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال البغوي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَمَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَةِ الْكُفَّارِ وَمُدَاهَنَتِهِمْ وَمُبَاطَنَتِهِمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكُفَّارُ غَالِبِينَ ظَاهِرِينَ، أَوْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي قَوْمٍ كُفَّارٍ يَخَافُهُمْ فَيُدَارِيهِمْ بِاللِّسَانِ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، دَفْعًا عَنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَحِلَّ دَمًا حَرَامًا أَوْ مَالًا حَرَامًا، أَوْ يُظْهِرَ الْكُفَّارَ عَلَى عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّقِيَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفِ الْقَتْلِ وَسَلَامَةِ النِّيَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [التَّحَلُّ الْآيَةُ: ١٠٦] ^(١).

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه: لَيْسَ التَّقِيَّةُ بِالْعَمَلِ إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ ^(٢).

(١) «تفسير البغوي (معالم التنزيل)»، سورة آل عمران، للإمام أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي الشافعي، متوفى ٥١٦ هـ..

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤ هـ.

«يَقُولُونَ سَرَقْتَ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى.

وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبْهَا أَوْ أَصَلِّي. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتَّهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَ الْمَوْسَاتِ. وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ؛ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ، وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى.

فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا؛ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ.

فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي. قَالُوا: نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ.

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَمَرَّ بِهَا



رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ.
فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاَكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي
مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَانِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ.
ثُمَّ مَرَّ بِأُمِّهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ.
فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.
فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاَكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ
الْأُمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقَتِ زَيْنَتٍ، وَلَمْ تَفْعَلْ»^(١).

* في هذا الحديث العظيم. يُقَصُّ النَّبِيُّ ﷺ لَنَا قِصَصًا
حَدَّثَتْ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ لِنَأْخُذَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ، وَفِيهِ
يَقُولُ ﷺ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ»، أَي: لَمْ يَتَكَلَّمْ
رَضِيعًا فِي الْمَهْدِ؛ أَي فِي الْفِرَاشِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ أَطْفَال.
أَوَّلُ هَؤُلَاءِ: هُوَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى الْكَرِيمُ؛ حَيْثُ أَنْطَقَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا
اتَّهَمَ قَوْمُهُ أُمَّهُ مَرِيَمَ فِي وِلَادَةِ عِيسَى الْكَرِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) متفق عليه، «أخرجه البخاري»: ٣٤٣٦، و«مسلم»: ٢٥٥٠.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ٢٩﴾
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
 أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا
 بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
 أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣﴾ [مَرْيَم: ٢٩-٣٣].

الثاني: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ
 يُصَلِّي»، أي: كَانَ جَرِيحَ عَابِدًا مُعْتَزِلَ النَّاسِ، وَكَانَ بَعْدَ نَبِيِّ اللَّهِ
 عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، «جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ»، أي: نَادَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي،
 «فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي»، أي: فَكَّرَ وَتَرَدَّدَ فِي نَفْسِهِ، هَلْ يَقْطَعُ
 صَلَاتَهُ وَيُجِيبُ أُمَّهُ، أَمْ يَكْمُلُ الصَّلَاةَ، فَأَكْمَلَ الصَّلَاةَ وَلَمْ
 يُجِبْ أُمَّهُ، فَغَضِبَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ: «اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَهُ
 الْمَوْمِسَاتِ»، أي: دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى قَبْلَ مَوْتِهِ الْمَوْمِسَاتِ، أي:
 يَرَى النِّسَاءَ الْبَغَايَا اللَّاتِي يَمَارِسْنَ الرَّذِيلَةَ وَالزُّنَا، «وَكَانَ جُرَيْجٌ
 فِي صَوْمَعَتِهِ»، وَالصَّوْمَعَةُ: بَيْتٌ لِلْعِبَادَةِ مِثْلَ الدَّيْرِ وَالْكَنِيسَةِ
 يَعْتَزِلُ فِيهَا الرُّهْبَانُ، «فَتَعَرَّضْتُ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى»، أي:

طلبت منه امرأة أن يزني بها فاعترض جريج، «فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا»، أي: لَمَّا امْتَعَ عَنْهَا جُرَيْجٌ، فزَنَى بِهَا رَاعِي الماشية، «فَوَلَدَتْ غُلامًا»، أي: ولدت المرأة من راعي الماشية غلامًا من الزنا، «فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ»، أي: إِنَّهَا لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ والد الغلام، قالت: إِنَّهُ ابْنُ جُرَيْجٍ؛ وَاتَّهَمَتْهُ بِالزَّنا معها، «فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ»، أي: ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بني إسرائيل فهدموا الصَّومعة وأخرجوه مِنْهَا وَأَذَوْهُ بِالسَّبِّ والشَّتْمِ، «فَتَوَضَّأَ» جُرَيْجٌ «وَصَلَّى» ودعا الله، «ثُمَّ أَتَى الْغُلامَ»، أي: أَقْبَلَ عَلَى الْوَلَدِ الَّذِي اتُّهِمَ فِيهِ، «فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلام؟ فقال: الرَّاعِي»، أي: لَمَّا سَأَلَ جُرَيْجُ الطِّفْلَ عَنْ أَبِيهِ أَنْطَقَهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بِأَنَّ الرَّاعِي هُوَ أَبُوهُ، فَظَهَرَتْ لِلنَّاسِ كَرَامَةُ جُرَيْجٍ وَبِرَاءَتُهُ، فَلَمَّا عَلِمُوا بَرَاءَتَهُ قَالُوا: «تَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ»، فَأَرَادُوا أَنْ يُعِيدُوا بِنَاءَ صَوْمَعَتِهِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ جُرَيْجٌ: «لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ»، أي: أَعِيدُوا بِنَاءَهَا مِنَ الطِّينِ كَمَا كَانَتْ وَلَا أُرِيدُ الزِّيَادَةَ.

والغلام الثالث: «وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرَضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ؛ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ»، أَي: رَجُلٌ لَهُ هَيْئَةٌ وَهَيْئَةُ الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ، فَقَالَتِ الْأُمُّ فِيمَا ظَهَرَ لَهَا مِنْ مَظْهَرِ هَذَا الرَّجُلِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ»، أَي: دَعَتْ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ وَلَدَهَا مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ فِي الشَّانِ وَالْمَكَانَةِ، «فَتَرَكَ تَذْيِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ»، أَي: فَتَرَكَ الطِّفْلَ الرِّضَاعَةَ «تَوَقَّفَ عَنِ الرِّضَاعَةِ»، مِنْ تَذْيِ أُمِّهِ وَتَوَجَّهَ بِنَظَرِهِ إِلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ»، أَي: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ فِيمَا يُبْطِنُ مِنَ التَّكَبُّرِ وَالتَّجَبُّرِ، وَهَذِهِ كِرَامَةٌ؛ حَيْثُ نَطَقَ فِي الْمَهْدِ، «ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَذْيِهَا يَمَصُّهُ»، أَي: عَادَ مَرَّةً أُخْرَى لِلرِّضَاعَةِ.

قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِضْبَعَهُ»، أَي: كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَصِفُّ حَالَةَ رَضَاعِ الطِّفْلِ فَمَصَّ أُضْبَعَهُ لِلتَّوْضِيحِ، ثُمَّ أَكْمَلَ النَّبِيُّ الْحِكَايَةَ «ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ»، أَي: بِامْرَأَةٍ مَمْلُوكَةٍ، فَقَالَتِ الْأُمُّ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ»، أَي: إِنَّ الْأُمَّ دَعَتْ اللَّهَ أَلَّا يَجْعَلَ ابْنَهَا مِثْلَ تِلْكَ الْمَرْأَةِ لَمَّا ظَهَرَ لَهَا مِنْ مَظْهَرِ الْإِذْلَالِ، «فَتَرَكَ تَذْيِهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي

مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟، أي: سألت ابْنَهَا لِمَ دَعَوْتَ اللَّهَ بخلاف ما دَعَوْتُ لَكَ؟ أي: أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الْأُمَّةِ وَلَا تَكُونَ مِثْلَ ذَلِكَ الرَّاكِبِ؟ **«فَقَالَ الْغُلَامُ»** مُخَاطِبًا أُمَّه: **«الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ»**، أي: هُوَ جَبَّارٌ ظَالِمٌ مُتَكَبِّرٌ فَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِثْلَهُ، **«وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ: سَرَفْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلِ»**، أي: إِنَّهَا لَمْ تَسْرِقْ وَلَمْ تَزْنِ فِيهِ مَظْلُومَةٌ، وَهِيَ تَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَهَا عَلَى صَبْرِهَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْجِعَ شِقِّ الْمَظْلُومِينَ.

يُبَيِّنُ الْحَدِيثَ فَضْلَ طَاعَةِ الْأُمِّ وَيُثَبِّتُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ الصَّادِقِينَ، وَأَنَّ الْفِتْنَ لَا تَضُرُّ الْمُؤْمِنَ، وَمَنْ أَهَمَّهُ أَمْرٌ فَلْيَفْزَعْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ، فَهُوَ يَجْعَلُ لِأَوْلِيَائِهِ مَخْرَجًا مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ وَنَجَاةً مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّ الْمَظْلُومَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ.



لا تَتَعَبْ فَرَسَكَ

عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(١).

قال الإمام الحافظ؛ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ الْقَوَارِيرِيُّ الرَّجَّاجُ، نَزِيلُ بَغْدَادَ رحمته الله: لَمْ تَكُنْ تَفُوتُنِي صَلَاةُ الْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ قَطُّ.

فَنَزَلَ بِي لَيْلَةً ضَيْفٌ؛ فَشُغِلْتُ بِسَبَبِهِ، وَفَاتَتْنِي صَلَاةُ الْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ.

فَخَرَجْتُ أَطْلُبُ الصَّلَاةَ فِي مَسَاجِدِ الْبَصْرَةِ؛ فَوَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَدْ صَلَّوْا، وَأُغْلِقَتِ الْمَسَاجِدُ، فَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي. وَقُلْتُ: قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ إِنَّ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ تَزِيدُ

(١) متفق عليه، رواه البخاري: ٦١٩، ومسلم: ٦٥٠.



عَلَى صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرَجَةً؛ فَصَلَّيْتُ الْعِشَاءَ سَبْعًا وَعَشْرِينَ مَرَّةً.

ثُمَّ نِمْتُ؛ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي مَعَ قَوْمٍ عَلَى خَيْلٍ وَأَنَا - أَيْضًا - عَلَى فَرَسٍ، وَنَحْنُ نَسْتَبِقُ، وَأَنَا أَرْكُضُ فَرَسِي فَلَا أَلْحَقُهُمْ، فَالْتَقَتَ إِلَيَّ أَحَدُهُمْ.

فَقَالَ لِي: لَا تُتْعِبْ فَرَسَكَ، فَلَسْتَ تَلْحَقُنَا. قُلْتُ: وَلِمَ؟
قَالَ: لِأَنَّ صَلَاتِنَا الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، وَأَنْتَ صَلَّيْتَ وَحْدَكَ.
فَانْتَبَهْتُ، وَأَنَا مَغْمُومٌ حَزِينٌ لِدَلِيلِكَ ^(١).



(١) «كتاب الكبائر»: ص ٣٠، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الترمكاني، متوفى ٧٤٨هـ.

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بِمَنْ تَقْتَدِي

لَمَّا أَرَادَ نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَبُو عِصْمَةَ الْمَرْوزِيُّ، قَاضِي
مَرَوْ؛ أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَتَهُ، اسْتَشَارَ جَارًا لَهُ مَجُوسِيًّا.
فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! النَّاسُ يَسْتَفْتُونَكَ، وَأَنْتَ تَسْتَفْتِينِي؟
قَالَ: لَا بُدَّ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ!
قَالَ: إِنَّ رَئِيسَ الْفُرْسِ كِسْرَى.. كَانَ يَخْتَارُ الْمَالَ.
وَرَئِيسُ الرُّومِ قَيْصَرٌ.. كَانَ يَخْتَارُ الْجَمَالَ.
وَرَئِيسُ الْعَرَبِ.. كَانَ يَخْتَارُ الْحَسَبَ.
وَرَئِيسُكُمْ مُحَمَّدٌ.. كَانَ يَخْتَارُ الدِّينَ؛
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بِمَنْ تَقْتَدِي ^(١).

(١) «المستطرف في كل فنٍّ مستطرف»: ص ٨٤، للإمام شهاب الدين أبي الفتح
محمد بن أحمد بن منصور الأبشهي المحلي رحمته الله، متوفى ٨٥٢هـ.

«أُتِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»

قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْيَمَنِ:

مَا كَانَ أَجْهَلَ قَوْمَكَ حِينَ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ امْرَأَةً!

فَقَالَ: أَجْهَلُ مِنْ قَوْمِي قَوْمُكَ.

الَّذِينَ قَالُوا حِينَ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ أَلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ

فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُتِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

[الأنفال: ٣٢] ^(١).



(١) «كتاب العقد الفريد»: ٣٠ / ١، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، المشهور بابن عبد ربه رحمته الله، متوفى ٣٢٨هـ.

«اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ؛ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام:
 مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى قَالَتِ الْأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ!
 فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام:
 أَنْتُمْ مَا جَفَّتْ أَقْدَامُكُمْ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ:
 «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ!»^(١).



(١) «الأذكياء»: ص ٢١٩، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي، المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.



فاشتريناً لسانه

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ عَنْ حَسَنِ الْوَصِيفِ، قَالَ: قَعَدَ الْمَهْدِيُّ فُعُودًا عَامًّا لِلنَّاسِ؛ فَدَخَلَ رَجُلٌ وَفِي يَدِهِ نَعْلٌ فِي مَنْدِيلٍ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَذِهِ نَعْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَهْدَيْتُهَا لَكَ. فَقَالَ: هَاتِيهَا. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ.

فَقَبَّلَ بَاطِنَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَأَمَرَ لِلرَّجُلِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا أَخَذَهَا وَانْصَرَفَ.

قَالَ لِجُلَسَائِهِ: أَتَرُونَ أَنِّي لَمْ أَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرَهَا فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ لِبَسِهَا؟ وَلَوْ كَذَّبْنَاهُ، قَالَ لِلنَّاسِ:

أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَدَّهَا عَلَيَّ!

وَكَانَ مَنْ يُصَدِّقُهُ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْفَعُ خَبْرَهُ.

إِذْ كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَامَّةِ الْمَيْلُ إِلَى أَشْكَالِهَا، وَالنُّصْرَةُ
لِلضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ.

وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا؛ فَاشْتَرَيْنَا لِسَانَهُ، وَقَبَلْنَا هَدِيَّتَهُ، وَصَدَّقْنَا
قَوْلَهُ، وَرَأَيْنَا الَّذِي فَعَلْنَاهُ أَنْجَحَ وَأَرْجَحَ ^(١).

قال الشافعي كنت باليمن فقرأت على باب صنعاء أو
عدن مكتوب:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغَنَّكَ إِنْهُ ثَعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ قَدْ كَانَ هَابَ لِقَاءِهِ
الْأَقْرَانُ ^(٢).

(١) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها
ووارديها»: ٣/ ٣٨٧، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب
البغدادي رحمته الله، متوفى ٤٦٣ هـ.

(٢) «مناقب الشافعي»: ٢/ ٨٧، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، متوفى ٨٥٤ هـ.



أَصْعَبُ الْأُمُورِ

حَكَى أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْفَيَّاضِ فِي كِتَابِهِ، قَالَ: كَتَبَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ الْأُمَوِيُّ - الْمَعْرُوفُ بِالرَّبَضِيِّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ - إِلَى الْفُقَهَاءِ يَسْتَدْعِيهِمْ إِلَيْهِ، فَأَتَوْا إِلَى الْقَصْرِ.

وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورُ؛ قَدْ نَظَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ، كَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا؛ فَعَبَثَ بِهَا، وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ أَنْ وَقَعَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا!

فَسَأَلَ الْفُقَهَاءَ عَنْ تَوْبَتِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَكَفَّارَتِهِ؟

فَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى:

يُكْفِّرُ ذَلِكَ بِصَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ.

فَلَمَّا بَدَرَ يَحْيَى لِهَذِهِ الْفُتْيَا، سَكَتَ بِقِيَّةِ الْفُقَهَاءِ، حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَقَالُوا لِيَحْيَىٰ:

مَا لَكَ لَمْ تُفْتِهِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ!

فَعِنْدَهُ أَنَّهُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْعِتْقِ، وَالطَّعَامِ، وَالصَّيَامِ؟

فَقَالَ: لَوْ فَتَحْنَا لَهُ هَذَا الْبَابَ

سَهَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَأَ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَعْتِقَ رَقَبَةً

وَلَكِنْ حَمَلْتُهُ عَلَى أَصْعَابِ الْأُمُورِ؛ لِئَلَّا يَعُودَ^(١).

قال ابن تيمية: الفقيه كل الفقيه هو الذي لا يؤيس الناس

من رحمة الله، ولا يجزئهم على معاصي الله^(٢).



(١) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»: ١٤٥/٦، لأبي العباس شمس الدين

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان رحمته الله، متوفى ٦٨١هـ.

(٢) «مجموعة الفتاوى»: ٢٣٦/١٥، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد

ابن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.



لا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَهُ سِتُونَ امْرَأَةً، فَقَالَ: لَأُطَوِّقَنَّ^(١) اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي فَلَتَحْمِلَنَّ كُلُّ امْرَأَةٍ، وَلَتَلِدَنَّ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ، فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ شِقَّ غُلَامٍ^(٢)».

قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَشَنَى؛ لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٣)»^(٤).

(١) أَي: لِأَجْمَعَنَّ نِسَائِي كُلَّهُنَّ؛ تَأْتِي كُلُّ بَفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(٢) أَي: بِنِصْفِ رَجُلٍ.

(٣) أَي: لَوْ اسْتَشَنَى فِي كَلَامِهِ؛ لَرَزَقَهُ اللَّهُ مِثْلَ فَارِسٍ كُلِّهِمْ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَلَمْ يَقُلْ ﷺ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِنِسْيَانِهِ، وَلَا يَعْنِي هَذَا أَنَّهُ لَمْ يُفَوِّضِ الْأَمْرَ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ؛ فَحَاشَاهُ أَنْ يَغْفَلَ قَلْبُهُ عَنْ تَفْوِضِ الْأَمْرِ لِلَّهِ وَهُوَ نَبِيُّ وَالْعَصْمَةُ ثَابِتَةٌ لَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَالنِّسْيَانُ هُنَا نِسْيَانُ قَوْلٍ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» بِلِسَانِهِ.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري: ٧٤٦٩، ومسلم: ١٦٥٤.

قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

سُئِلَ بَعْضُهُمْ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: إِلَى الْكُنَاسَةِ ^(١) لِأَشْتَرِي حِمَارًا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ: وَمَا وَجْهُ الِاسْتِثْنَاءِ؟ الدَّرَاهِمُ فِي كُمِّي، وَالْحَمِيرُ فِي الْكُنَاسَةِ! فَلَمَّا ذَهَبَ؛ سُرِقَتْ مِنْهُ الدَّرَاهِمُ. فَعَادَ! فَقِيلَ لَهُ: مَا الَّذِي فَعَلْتَ؟ قَالَ: سُرِقَتْ الدَّرَاهِمُ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(٢).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ^(٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].



(١) أي: أماكن بيع الحمير.

(٢) «محاضرات الأدباء»: ص ٢١٢، للإمام أبي القاسم الحسين الأصفهاني (رحمه الله)،

متوفى ٥٥٠٠ هـ.



أَخَافُ أَنْ تَرْهَنَ كِتَابِي

قال الله تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البَيِّنَةُ: ٣].

قال الطبري في تفسيره: يقول: في الصحفِ المطهرة
كتبٌ من الله قِيَمَةٌ عادلةٌ مستقيمةٌ، ليس فيها خطأ، لأنها من
عندِ الله^(١).

قال الخطيب: سَأَلَ رَجُلٌ رَجُلًا، أَنْ يُعِيرَهُ كِتَابًا.

فَقَالَ: عَلَيَّ يَمِينٌ أَنْ لَا أُعِيرَ كِتَابًا؛ إِلَّا بِرَهْنٍ.

قَالَ: فَهَذَا كِتَابٌ اسْتَعْرَضْتُهُ مِنْ فُلَانٍ؛ فَأَتْرُكُهُ رَهْنًا عِنْدَكَ.

فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَرْهَنَ كِتَابِي كَمَا رَهَنْتَ كِتَابَ غَيْرِي^(٢).

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: ٥٥٢ / ٢٤، لأبي جعفر بن جرير الطبري،
متوفى ٣١٠ هـ.

(٢) «تقييد العلم»: ص ١٤٩، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب
البغدادى، متوفى ٤٦٣ هـ.



لَهُوَ وَلَعِبُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ



قال المؤرخُ ابنُ الأثير الجزريُّ رحمه الله وهو ينعى الإسلامَ وأَهْلَهُ، وَيَصِفُ أحوالَ مُلُوكِهِ قُبَيْلَ وفَاتِهِ بِسَتَيْنِ؛ فيقولُ مُعَلِّقًا على أحداثِ سَنَةِ (٦٢٨هـ) ما نَصَّهُ:

فَاللهُ تَعَالَى يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ نَصْرًا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَا نَرَى فِي مُلُوكِ الْإِسْلَامِ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْجِهَادِ، وَلَا فِي نُصْرَةِ الدِّينِ! بَلْ كُلُّ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ عَلَى لَهْوِهِ وَلَعِبِهِ، وَظَلَمَ رَعِيَّتِهِ، وَهَذَا أَخَوْفُ عِنْدِي مِنَ الْعَدُوِّ.

قال اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] ^(١).

كَمَا نَرَى الْيَوْمَ مِنْ حُكَّامِنَا وامرئنا، مَنْ هُوَ مُقْبِلٌ عَلَى هَوَاهُ وَظَلَمَ الرِّعِيَةَ وَانْشَغَلَ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ.

(١) «الكامل في التاريخ»: ٤٩١/١٠، لعزِّ الدِّينِ أبي الحسن علي بن محمد الجزري الموصلي، المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله، متوفى ٦٣٠هـ.



بَغْدَادُ دَارِ السَّلَامِ

قال أبو إسحاق الزجاج: بَغْدَادُ حَاضِرَةُ الدُّنْيَا. وَمَا
عَدَاهَا بِأَدْيَةٍ^(١).

قال الخطيب: أَيَّامُ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ﷺ.
لَمْ يَكُنْ لِبَغْدَادَ فِي الدُّنْيَا نَظِيرٌ فِي جَلَالَةِ قَدْرِهَا، وَفَخَامَةِ
أَمْرِهَا، وَكَثْرَةِ عُلَمَائِهَا وَأَعْلَامِهَا، وَتَمَيُّزِ خَوَاصِّهَا وَعَوَامِّهَا،
وَعَظَمِ وَسْعَةِ أَطْرَارِهَا، وَكَثْرَةِ دُورِهَا وَمَنَازِلِهَا، وَدُرُوبِهَا
وَشَوَارِعِهَا وَمَحَالِّهَا، وَأَسْوَاقِهَا وَسُكُكِهَا، وَأَزَقَّتِهَا.
وَمَسَاجِدِهَا، وَحَمَّامَاتِهَا وَطُرُقِهَا وَخَانَاتِهَا، وَطِيبِ هَوَائِهَا
وَعُدُوبَةِ مَائِهَا، وَبَرْدِ ظِلَالِهَا وَأَفْيَائِهَا، وَاعْتِدَالِ صَيْفِهَا وَشَتَائِهَا،
وَصِحَّةِ رَبِيعِهَا وَخَرِيفِهَا، وَزِيَادَةِ مَا حُصِرَ مِنْ عَدَدِ سُكَّانِهَا.

(١) «معجم البلدان»: ١/ ٤٦١، تأليف: الشيخ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
الحموي، متوفى ٦٢٦هـ.

وَأَكْثَرُ مَا كَانَتْ عِمَارَةً وَأَهْلًا فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ؛ إِذِ الدُّنْيَا قَارَةٌ
 الْمَضَاجِعِ، دَائِرَةُ الْمَرَاضِعِ، خَصِيْبَةُ الْمَرَائِعِ، مُورَدَةُ الْمَشَارِعِ..
 ثُمَّ حَدَّثَتْ بِهَا الْفِتْنَ. وَتَابَعَتْ عَلَى أَهْلِهَا الْمِحْنَ؛
 فَخَرَبَ عِمْرَانُهَا، وَانْتَقَلَ قُطَانُهَا.

إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ وَقْتِنَا وَالسَّابِقِ لِعَصْرِنَا عَلَى مَا بِهَا
 مِنَ الْاِخْتِلَالِ وَالتَّنَاقُصِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، مُبَايَنَةً لِجَمِيعِ
 الْأَمْصَارِ، وَمُخَالَفَةً لِسَائِرِ الدِّيَارِ^(١).



(١) «تاريخ بغداد، أو مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير
 أهلها ووارديها»: ١/ ٤٤٠، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت
 الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣ هـ.



أَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾
[آل عمران: ١١٨].

قال ابن تيمية: دخل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فعرض عليه حساب العراق، فأعجبه ذلك، وقال: ادع كاتبك يقرأه عليّ، فقال: إنه لا يدخل المسجد، قال: ولم، قال: لأنه نصراني! فضربه عمر رضي الله عنه بالدرة، فلو أصابته لأوجعته، ثم قال: لا تعزّوهم بعد أن أذلّهم الله، ولا تأمنوهم بعد أن خوّنهم الله، ولا تُصدّقوهم بعد أن أكذبهم الله. وقال: قَدْ عَرَفَ أَهْلُ الْخَبْرَةِ أَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ، يُكَاتِبُونَ أَهْلَ دِينِهِمْ بِأَخْبَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَبِمَا يَطَّلِعُونَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ؛ حَتَّى أَخَذَ جَمَاعَةً مِنْ

المُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ التَّارِ وَسُبْيِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِمُطَالَعَةِ أَهْلِ
الذِّمَّةِ لِأَهْلِ دِينِهِمْ.

وَمِنَ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تَرَجَّى مَوَدَّتُهَا

إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ فِي الدِّينِ

وَلِهَذَا وَغَيْرِهِ مُنِعُوا أَنْ يَكُونُوا عَلَى وِلَايَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ
عَلَى مَصْلَحَةٍ مَنْ يُقَوِّيهِمْ، أَوْ يُفْضِلُ عَلَيْهِمْ فِي الْخَبَرَةِ وَالْأَمَانَةِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلِ اسْتِعْمَالُ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الْكِفَايَةِ، أَنْفَعُ
لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَالْقَلِيلُ مِنَ الْحَلَالِ يُبَارِكُ فِيهِ،
وَالْحَرَامُ الْكَثِيرُ يَذْهَبُ، وَيَمَحَقُّهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١).

(١) «مجموعة الفتاوى»: ١٦/٢٨٣، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.



ما أَصَابَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ

ذكر ابن كثير رحمه الله في كتابه: «البداية والنهاية»:

قُلْتُ: وَكَذَا مَنْ بَعْدَهُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَلَا سِيَمَا فِي أَيَّامِ هُولاكُو بنِ تولى بنِ جُنَكِرَ بنِ حَانَ التُّرْكِيِّ؛ الَّذِي وَضَعَ مَعَالِمَهَا وَقَتَلَ خَلِيفَتَهَا، وَعَالِمَهَا، وَخَرَّبَ دُورَهَا، وَهَدَمَ قُصُورَهَا، وَأَبَادَ الْخَوَاصَّ، وَالْعَوَامَّ مِنْ أَهْلِهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَالْحَوَاصِلَ.

وَنَهَبَ الذَّرَارِي وَالْأَصَائِلَ، وَأَوْرَثَ بِهَا حُزْنَاً يَعْدُدُ بِهِ فِي الْمُبَكِّرَاتِ وَالْأَصَائِلِ، وَصَيَّرَهَا مِثْلَةً فِي الْأَقَالِيمِ، وَعِبْرَةً لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ عَلِيمٍ، وَتَذَكِيرَةً لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ مُسْتَقِيمٍ..

وَبُدِّلَتْ بَعْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالنَّغَمَاتِ وَالْأَلْحَانِ، وَإِنْشَادِ الْأَشْعَارِ، وَكَانَ، وَكَانَ.

وَبَعْدَ سَمَاعِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ بِدَرْسِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ،
وَالْمَنَاهِجِ الْكَلَامِيَّةِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الْقُرْطُبِيَّةِ.

وَبَعْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَطِبَّاءِ، وَبَعْدَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ بِشَرِّ الْوَلَاةِ
مِنَ الْإِنْسَانِيِّ، وَبَعْدَ الرِّيَّاسَةِ وَالنَّبَاهَةِ بِالْخَسَاسَةِ وَالسَّفَاهَةِ.

وَبَعْدَ الطَّلَبَةِ الْمُشْتَغَلِينَ بِالظُّلْمَةِ وَالْعِيَّارِينَ، وَبَعْدَ الْعِلْمِ
بِالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، بِالْمُوشِحِ وَدُوبَيْتِ وَمَوَالِيَا،
وَمَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا يَبْعُضُ ذُنُوبِهِمْ:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ^(١).



(١) «البداية والنهاية»: ١٣ / ٣٩٧، للحافظ عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر

ابن كثير القرشي الدَّمَشَقِي رحمته الله، متوفى ٧٧٤هـ.





حقيقة دولة العبيديين بمصر



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: فَإِنَّ الْقَاهِرَةَ بَقِي
وُلَاةُ أُمُورِهَا ^(١) نَحْوَ مَائَتِي سَنَةٍ عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ،
وَكَانُوا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ رَافِضَةٌ ^(٢) وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ: إِسْمَاعِيلِيَّةٌ ^(٣)
وَنُصَيْرِيَّةٌ ^(٤) وَقَرَامِطَةٌ بَاطِنِيَّةٌ ^(٥). كَمَا قَالَ فِيهِمُ الْغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ

(١) دولة العبيديين.

(٢) هم أشهر من أن يعرفوا، وضلّاهم بين، فغلّوا في آل بيته عليه السلام وجفّوا أزواجه
وأصهاره وبقية الأصحاب وكفّروهم، فصاؤوا باباً دخل منه الباطنية والزنادقة
لهدم أصول الدين.

(٣) طائفة باطنية كافرة خارجة عن الإسلام تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين، رحمهم الله ورضي عنهم.

(٤) هم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير، وكانوا يقولون: إِنَّ عَلِيًّا إِلَهٌ.

(٥) هم أتباع حمدان بن الأشعث الشهير بقرمط، هم في الحقيقة أكفر من اليهود
والنصارى وأكفر الناس بالرحمن، وفي الظاهر يدعون الإسلام بمنزلة من ادّعى
النبوّة من الكذابين.



الله تعالى - فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ: ظَاهِرُ
مَذْهَبِهِمُ الرِّفْضُ وَبَاطِنُهُ الْكُفْرُ الْمَحْضُ، وَاتَّفَقَ طَوَائِفُ
الْمُسْلِمِينَ؛ عُلَمَاؤُهُمْ وَمُلُوكُهُمْ وَعَامَتُهُمْ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ
وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَغَيْرِهِمْ:

عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا خَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ
قِتَالَهُمْ كَانَ جَائِزًا، بَلْ نَصُّوا عَلَى أَنَّ نَسَبَهُمْ كَانَ بَاطِلًا، وَأَنَّ
جَدَّهُمْ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونٍ الْقَدَاحَ لَمْ يَكُنْ مِنْ آلِ بَيْتِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَصَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ، وَشَهِدَ بِذَلِكَ مِثْلُ
الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْقُدُورِيِّ إِمَامِ الْحَنْفِيَّةِ، وَالشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ
الْإِسْفَرَايْنِيِّ إِمَامِ الشَّافِعِيَّةِ، وَمِثْلُ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى إِمَامِ
الْحَنْبَلِيَّةِ، وَمِثْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زَيْدٍ إِمَامِ الْمَالِكِيَّةِ .

وَصَنَّفَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الطَّيِّبِ فِيهِمْ كِتَابًا فِي كَشْفِ
أَسْرَارِهِمْ، وَسَمَّاهُ «كَشْفُ الْأَسْرَارِ وَهَتْكَ الْأَسْتَارِ» فِي
مَذْهَبِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ، وَالَّذِينَ يُوجَدُونَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ



مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالنَّصِيرِيَّةِ وَالذَّرَزِيَّةِ ^(١) وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ،
وَهُمُ الَّذِينَ أَعَانُوا التَّتَارَ ^(٢) عَلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ وَزِيرُ
- هُوَ لَاكُو - النَّصِيرُ الطُّوسِيُّ ^(٣) مِنْ أَائِمَّتِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ
النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَمُلُوكِهِمْ، ثُمَّ الرَّافِضَةُ بَعْدَهُمْ.

فَالرَّافِضَةُ يُوَالُونَ مَنْ حَارَبَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ،
وَيُوَالُونَ التَّتَارَ، وَيُوَالُونَ النَّصَارَى.

وَقَدْ كَانَ بِالسَّاحِلِ بَيْنَ الرَّافِضَةِ، وَبَيْنَ الْفِرْنَجِ مُهَادَنَةٌ؛
حَتَّى صَارَتِ الرَّافِضَةُ تَحْمِلُ إِلَى قُبُرِ صَ خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ
وَسِلَاحَهُمْ.. وَغُلَامَانِ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَالصَّبِيَّانِ،
وَإِذَا انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى التَّتَارِ أَقَامُوا الْمَآئِمَ وَالْحُزْنَ، وَإِذَا

(١) فرقة باطنية أنشأها العبيديون، وهذا الاسم نسبةً لمحمد بن إسماعيل الدرزي.

(٢) شعوبٌ أعاجمٌ من جنس التُّرك؛ قَدِمُوا مِنْ وَسْطِ آسِيَا وَأَطْرَفِهَا الشَّرْقِيَّةِ، كَانُوا
وَتَبَيَّنَ أَوْبَاشًا قَبْلَ أَنْ يَسْلَمُوا.

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ نَصِيرُ الشُّرُكِ رِبَطَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ نَكَبَةَ الْمُسْلِمِينَ
بِبَغْدَادَ بِهِ، قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ الْمُحَدِّثِينَ، وَاسْتَبَقَى الْفَلَاسِفَةَ
وَالْمُنَجِّمِينَ وَالصَّابِقِينَ وَالسَّحَرَةَ.

انْتَصَرَ التَّارَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا الْفَرْحَ وَالشُّرُورَ.

وَهُمُ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَى التَّارِ بِقَتْلِ الْخَلِيفَةِ، وَقَتْلِ أَهْلِ
بَغْدَادَ. وَوَزِيرُ بَغْدَادَ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ؛ هُوَ الَّذِي خَاَمَرَ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَكَاتَبَ التَّارَ؛ حَتَّى أَدْخَلَهُمْ أَرْضَ الْعِرَاقِ
بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَنَهَى النَّاسَ عَنْ قِتَالِهِمْ ^(١).

وقال: ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين
في سبيل الله تعالى (كنور الدين الشهيد، صلاح الدين)
وأتباعهما، وفتحوا السواحل من النصارى، ممن كان بها منهم،
وفتحوا أيضاً أرض مصر، فإنهم كانوا - أي الرافضة العبيدية
- مُسْتَوَلِينَ عليها نحو مائتي سنة، واتفقوا هم والنصارى،
فجاهدتهم المسلمون حتى فتحوا البلاد، ومن ذلك التاريخ
انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية ^(٢).

(١) «مجموع الفتاوى»: ٢٨ / ٦٣٥-٦٣٧، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني رحمته الله، متوفى ٧٢٨هـ.

(٢) «مجموع الفتاوى»: ٣ / ٥٠٧، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.



المجاعة الكبرى في القاهرة

قال الذهبي: السَّنةُ الأُولَى مِنْ سَلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ عَلَى مِصْرَ، وَهِيَ سَنَةٌ سَبْعَةٌ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةً.

فِيهَا كَانَ هُبُوطُ النَّيْلِ، وَلَمْ يُعْهَدْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي دَوْلَةِ الْفَاطِمِيِّينَ - الْعَبِيدِيِّينَ - ^(١) وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا شَيْءٌ يَسِيرٌ.

وَاشْتَدَّ الْعَلَاءُ وَالْوَبَاءُ بِمِصْرَ؛ فَهَرَبَ النَّاسُ إِلَى الْمَغْرِبِ

(١) وَقَعَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ الْفَاطِمِيِّ سَنَةَ (٤٥٧هـ)، وَالْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْخَامِسُ مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ الْفَاطِمِيَّةِ (وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْعَبِيدِيَّةَ مَجُوسِيَّةٌ وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آلِ الْبَيْتِ أَيِّ نَسَبٍ) فِي مِصْرَ وَالثَّامِنُ مُنْذُ نَشْأَتِهَا بِالْمَغْرِبِ، وَأَشْهَرُ أَحْدَاثِ عَصْرِهِ الشَّدَّةُ الْمُسْتَنْصِرِيَّةُ أَوْ مَا يُعْرَفُ فِي كُتُبِ الْمُؤَرِّخِينَ بِـ «الشَّدَّةِ الْعُظْمَى» وَهِيَ مُصْطَلَحٌ يُطْلَقُ عَلَى الْمِجَاعَةِ وَالْخَرَابِ الَّذِي حَلَّ بِمِصْرَ لِمُدَّةٍ سَبْعِ سِنَوَاتٍ عِجَافٍ وَاسْتَمَرَّتِ الْمِحْنَةُ مِنْ سَنَةِ (٤٥٧هـ) إِلَى (٤٦٤هـ)، (١٠٦٥م - ١٠٧١م).

وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالشَّامِ، وَتَفَرَّقُوا وَتَمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ.
 قَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ: كَانَ الرَّجُلُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ الصَّغِيرَ وَتُسَاعِدُهُ
 أُمُّهُ عَلَى طَبْخِهِ وَشَيِّهِ، وَأَحْرَقَ السُّلْطَانُ جَمَاعَةً فَعَلُوا ذَلِكَ
 وَلَمْ يَتَّهَوْا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَدْعُو صَدِيقَهُ وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ إِلَى
 مَنْزِلِهِ فَيَذْبَحُهُ وَيَأْكُلُهُ، وَفَعَلُوا بِالْأَطِبَّاءِ كَذَلِكَ ^(١).
 وَفُقِدَتِ الْمَيِّتَاتُ وَالْجَيْفُ ^(٢).

وَكَانُوا يَخْتَطِفُونَ الصَّبِيَّانَ مِنَ الشَّوَارِعِ فَيَأْكُلُونَهُمْ..
 وَكَفَّنَ السُّلْطَانُ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ مَائَتِي أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا..
 وَامْتَلَأَتْ طُرُقَاتُ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ
 بِرُمَمِ النَّاسِ. وَصَلَّى إِمَامُ جَامِعِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي يَوْمٍ عَلَى
 سَبْعِمِائَةِ جَنَازَةٍ ^(٣).



(١) فَكَانُوا يَدْعَوْنَهُمْ لِيُبَصِّرُوا الْمَرْضَى فَيَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْكُلُونَهُمْ!

(٢) مِنْ كَثْرَةِ مَا أَكَلُوها!

(٣) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»: ١٥٦/٦، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، متوفى ٨٧٤ هـ.





سَبُّ الصَّحَابَةِ أَيَّامَ الْعَبِيدِينَ



قال الذهبي: ماتَ المُسْتَنْصِرُ - المُسْتَعْلِي بالله
 أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَنْصِرِ مَعْدٍ - فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ
 سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، وَقَدْ قَارَبَ السَّبْعِينَ.
 وَكَانَ سَبُّ الصَّحَابَةِ فَاشِيًا فِي أَيَّامِهِ، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً
 مَكْتُومَةً، حَتَّى إِنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَافِظَ أَبَا إِسْحَاقَ الْحَبَّالَ مِنْ
 رِوَايَةِ الْحَدِيثِ، وَهَدَّدُوهُ؛ فَاِمْتَنَعَ^(١).



(١) «سير أعلام النبلاء»: ٩٩ / ١٠، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي التركماني، متوفى ٧٤٨ هـ.

غلاء شديد بمصر

يروي ابن كثير رحمه الله في تاريخه «البداية والنهاية» عن الشدة التي وقعت على المسلمين في سنة (٤٦٢ هـ)، فيقول:

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة؛ فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذلك فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي.

وفيها كان غلاء شديد بمصر؛ فأكلوا الجيف والميتات والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وأُفْنِيَت الدواب، فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها

لِضَعْفِهِ مِنَ الْجُوعِ؛ فَأَخَذَهَا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ فَذَبَحُوهَا وَأَكَلُوهَا،
فَأُخِذُوا فَصُلِبُوا؛ فَمَا أَصْبَحُوا إِلَّا وَعِظَامُهُمْ بَادِيَةٌ، قَدْ أَخَذَ
النَّاسُ لُحُومَهُمْ فَأَكَلُوهَا.

وظَهَرَ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُ الصَّبِيَّانَ وَالنِّسَاءَ وَيَذْفِنُ رؤُوسَهُمْ
وَأَطْرَافَهُمْ، وَيَبِيعُ لَحُومَهُمْ؛ فَقَتَلَ وَأَكَلَ لَحْمَهُ، وَكَانَتِ الْأَعْرَابُ
يَقْدُمُونَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُونَهُ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ، لَا يَتَجَسَّرُونَ يَدْخُلُونَ
لَيْلًا يُخْطَفَ وَيُنْهَبَ مِنْهُمْ.

وَكَانَ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْفِنَ مَيِّتَهُ نَهَارًا، وَإِنَّمَا يَذْفِنُهُ لَيْلًا
خُفِيَةً، لَيْلًا يُنْبَشَ فَيُؤْكَلُ.

وَاحْتِاجَ صَاحِبُ مِصْرَ حَتَّى بَاعَ أَشْيَاءَ مِنْ نَفَائِسِ مَا عِنْدَهُ،
مِنْ ذَلِكَ إِحْدَى عَشَرَ أَلْفَ دِرْعٍ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ سَيْفٍ مُحَلٍّ،
وَتِمَانُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ بَلُورٍ كَبَارٍ، وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ
مِنَ الدِّيَبَاجِ الْقَدِيمِ. وَبِيعَتِ ثِيَابُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَغَيْرُ ذَلِكَ
بَارْخَصِ ثَمَنٍ، وَكَذَلِكَ الْأَمْلاَكُ وَغَيْرُهَا، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ هَذِهِ
النَّفَائِسِ لِلْخَلِيفَةِ، مِمَّا نُهَبَ مِنْ بَغْدَادَ فِي وَقْعَةِ الْبَسَاسِيرِيِّ.



وَفِيهَا وَرَدَتْ التَّقَادُومُ مِنَ الْمَلِكِ أَلْبَ آرْسَلَانَ إِلَى الْخَلِيفَةِ.
وَفِيهَا اسْمُ وَلِيِّ الْعَهْدِ ابْنِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الدَّانِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ، وَمَنْعَ
التَّعَامُلِ بِغَيْرِهَا، وَسَمَّى الْمَضْرُوبَ عَلَيْهِ الْأَمِيرِيَّ.

وَفِيهَا وَرَدَ كِتَابُ صَاحِبِ مَكَّةَ إِلَى الْمَلِكِ أَلْبَ آرْسَلَانَ،
وَهُوَ بِخُرَاسَانَ يُخْبِرُهُ بِإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ بِمَكَّةَ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ
وَلِلْسُلْطَانِ، وَقَطَعَ خُطْبَةَ الْمِصْرِيِّينَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِينَارٍ وَخِلْعَةً سَنِيَّةً، وَأَجْرَى لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ.
وَفِيهَا تَزَوَّجَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ جَهْمٍ بِابْنَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ
بِالرَّيِّ. وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو الْغَنَائِمِ الْعَلَوِيُّ^(١).



(١) «البداية والنهاية»: ١٠٩/٦-١١٠، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.



الْغَدْرُ يَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وَقَدْ عَرَفَ الْعَارِفُونَ بِالْإِسْلَامِ، أَنَّ الرَّافِضَةَ تَمِيلُ مَعَ
أَعْدَاءِ الدِّينِ. وَلَمَّا كَانُوا مُلُوكَ الْقَاهِرَةِ كَانَ وَزِيرُهُمْ مَرَّةً
يَهُودِيًّا، وَمَرَّةً نَصْرَانِيًّا أَرْمِينِيًّا، وَقَوِيَتِ النَّصَارَى بِسَبَبِ ذَلِكَ
النَّصْرَانِيِّ الْأَرْمِينِيِّ، وَبَنَوْا كَنَائِسَ كَثِيرَةً بِأَرْضِ مِصْرَ فِي دَوْلَةِ
أُولَئِكَ الرَّافِضَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانُوا يُنَادُونَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ: مَنْ
لَعَنَ وَسَبَّ؛ فَلَهُ دِينَارٌ وَإِرْدَبٌ.

وَفِي أَيَّامِهِمْ أَخَذَتِ النَّصَارَى سَاحِلَ الشَّامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
حَتَّى فَتَحَهُ نُورُ الدِّينِ وَصَلَّاحُ الدِّينِ. وَفِي أَيَّامِهِمْ جَاءَتْ
الْفَرَنْجُ إِلَى بَلْبَيسَ وَغَلَبُوا مِنَ الْفَرَنْجِ؛ فَإِنَّهُمْ مُنَافِقُونَ، وَأَعَانَهُمُ
النَّصَارَى، وَاللَّهُ لَا يَنْصُرُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ يُوَالُونَ النَّصَارَى؛
فَبَعَثُوا إِلَى نُورِ الدِّينِ يَطْلُبُونَ النِّجْدَةَ فَأَمَدَّهُمْ بِأَسَدِ الدِّينِ

وَابْنِ أَخِيهِ صَلَاحِ الدِّينِ. فَلَمَّا جَاءَتِ الْغُرَاةُ الْمُجَاهِدُونَ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ، قَامَتِ الرَّافِضَةُ مَعَ النَّصَارَى؛ فَطَبَّوْا قِتَالَ الْغُرَاةِ الْمُجَاهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَرَتْ فُصُولٌ يَعْرِفُهَا النَّاسُ؛ حَتَّى قَتَلَ صَلَاحُ الدِّينِ مُقَدِّمَهُمْ شَاوَرَ.

وَمِنْ حَيْثُ ظَهَرَتْ بِهَذِهِ الْبِلَادِ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَصَارَ يُقْرَأُ فِيهَا أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيُذَكَّرُ فِيهَا مَذَاهِبُ الْأَئِمَّةِ، وَيُتَرْضَى فِيهَا عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ.

وَالْأَكْثَرُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْخَلْقِ؛ فِيهِمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَرْصُدُونَهَا، وَفِيهِمْ قَوْمٌ زَنَادِقَةٌ دَهْرِيَّةٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ وَجُوبَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ، وَخَيْرٌ مَنْ كَانَ فِيهِمْ الرَّافِضَةُ، وَالرَّافِضَةُ شَرُّ الطَّوَائِفِ الْمُتَنَسِّينَ إِلَى الْقِبْلَةِ ^(١).

(١) «مجموع الفتاوى»: ٢٦ / ٢٧٩ - ٢٨٠، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس

أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحرانی رحمہ اللہ، متوفى ٧٢٨هـ.



ملعونين أينما ثقفوا

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله عَنِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ، قَبِحه الله:

كَانَ رَافِضِيًّا خَبِيثًا رَدِيءَ الطَّوَيَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ،
وَقَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْوَجَاهَةِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَعْصِمِ مَا
لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ.

ثُمَّ مَالًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ التَّارَ أَصْحَابَ هَوْلَاكُو
خَانٍ؛ حَتَّى فَعَلَ مَا فَعَلَ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

ثُمَّ حَصَلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالذُّلِّ عَلَى أَيْدِي التَّارِ
الَّذِينَ مَالَهُمْ وَزَالَ عَنْهُ سِتْرُ اللَّهِ، وَذَاقَ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى.

وَقَدَّرَتْهُ امْرَأَةٌ وَهُوَ فِي الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَهُوَ رَاكِبٌ فِي أَيَّامِ

التَّارِ بِرِذْوَنًا^(١) وَهُوَ مُرْسَمٌ عَلَيْهِ، وَسَائِقٌ يَسُوقُ بِهِ وَيَضْرِبُ
فَرْسَهُ، فَوَقَفَتْ إِلَى جَانِبِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ الْعَلَقَمِيِّ! هَكَذَا
كَانَ بَنُو الْعَبَّاسِ يُعَامِلُونَكَ؟

فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهَا فِي قَلْبِهِ، وَانْقَطَعَ فِي دَارِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ
كَمَدًا، وَغَيْبَةً، وَقِلَّةً، وَذِلَّةً. وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً،
وَدُفِنَ فِي قُبُورِ الرَّوَافِضِ، وَقَدْ سَمِعَ بِأُذُنِهِ، وَرَأَى بِعَيْنِهِ مِنَ
الْإِهَانَةِ مِنَ التَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ. وَكَانَتْ
دَوْلَتُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً^(٢).



(١) أي: خيلاً أو بغلاً غليظ الأعضاء.

(٢) «البداية والنهاية»: ١٣ / ٢١٣، للحافظ عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر
ابن كثير القرشي الدَّمَشَقِيُّ رحمته الله، متوفى ٧٧٤هـ.



أَسْبَابُ نِهَايَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مَزِيم: ٥٩].

قال السعدي: لما ذكر تعالى هؤلاء الأنبياء المخلصون المتبعون لمراضي ربهم، المنيبون إليه، ذكر من أتى بعدهم، وبدلوا ما أمروا به، وأنه خلف من بعدهم خلف، رجعوا إلى الخلف والوراء، فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهانونوا بها وضيعوها، وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي آكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم أضيع، وله أرفض، والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت همهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم، حصلوها، وعلى أي وجه اتفقت تناولوها ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي: عذابا مضاعفا شديدا^(١).

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٤٩٧، للشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته الله فِي مُحَاوَلَةٍ مِنْهُ لِتَلَكُّسِ أَسْبَابِ نِهَايَةِ
الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ عَلَى أَيْدِي التَّتَارِ فَقَالَ: وَلَمْ تَكُنْ أَيْدِي بَنِي
الْعَبَّاسِ حَاكِمَةً عَلَى جَمِيعِ الْبِلَادِ، كَمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ قَاهِرَةً
لِجَمِيعِ الْبِلَادِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
بِلَادُ الْمَغْرِبِ، مَلَكَهَا فِي أَوَائِلِ الْأَمْرِ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ مِمَّنْ
بَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ، ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ الْمُلُوكُ بَعْدَ دُحُورِ مُتَطَاوِلَةٍ، كَمَا
ذَكَرْنَا، وَقَارَنَ بَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَةَ الْمُدَّعِينَ أَنَّهُمْ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ
بِبِلَادِ مِصْرَ وَبَعْضِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَمَا هُنَاكَ، وَبِلَادِ الشَّامِ فِي
بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَالْحَرَمِينَ فِي أَزْمَانٍ طَوِيلَةٍ.

وكَذَلِكَ أَخَذَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِلَادُ خُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ،
وَتَدَاوَلَتْهَا الْمُلُوكُ دَوْلًا بَعْدَ دَوْلٍ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مَعَ الْخَلِيفَةِ
مِنْهُمْ إِلَّا بَغْدَادُ، وَبَعْضُ بِلَادِ الْعِرَاقِ، وَذَلِكَ لِضَعْفِ خِلَافَتِهِمْ
وَاشْتِغَالِهِمْ بِالشَّهَوَاتِ وَجَمْعِ الْأَمْوَالِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ.

كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَبْسُوطًا فِي الْحَوَادِثِ وَالْوَفَايَاتِ ^(١).

(١) «البداية والنهاية»: ٢٠٦/٧، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر
ابن كثير القرشي الدمشقي رحمته الله، متوفى ٧٧٤هـ.



اليهود قومٌ بهتٌ كثيرٌ الغدر والخيانة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ ^(١)، حَتَّى أَلْجَأَهُمْ
إِلَى قَصْرِهِمْ ^(٢)؛ فَغَلَبَ عَلَى الْأَرْضِ، وَالزَّرْعِ، وَالنَّخْلِ ^(٣)؛
فَصَالَحُوهُ ^(٤) عَلَى أَنْ يُجْلَوْا مِنْهَا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ ^(٥)،
وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّفَرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ ^(٦)، وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا.
فَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُعَيَّبُوا شَيْئًا ^(٧)؛ فَإِنْ

-
- (١) أي: حَارَبَ يَهُودَ خَيْبَرَ. وَكَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ.
(٢) أي: إِنَّهُمْ اضْطُرُّوا إِلَى التَّحَصُّنِ بِالْقُصُورِ خَوْفًا وَفِرَاعًا.
(٣) أي: فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَأَخَذَ أَرْضَهُمْ وَنَخْلَهُمْ.
(٤) أي: فَعَاهَدُوهُ وَاتَّفَقُوا مَعَهُ.
(٥) أي: بِمِقْدَارِ مَا تَحْمِلُ الْجِمَالُ مِنَ الْأَمْتِعَةِ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالذَّرْوَعِ فَقَطْ.
(٦) أي: أَنْ يَأْخُذَ النَّبِيُّ ﷺ «الصَّفَرَاءَ»: الذَّهَبَ. «وَالْبَيْضَاءَ»: الْفِضَّةَ.
(٧) أي: بِشَرْطِ أَلَّا يُخْفُوا شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحُلِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ.

فَعَلُوا^(١) فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عِصْمَةَ^(٢). فَغَيَّرُوا مَسْكَ^(٣) فِيهِ مَالٌ وَحُلِيٌّ لِحُيٍّ بْنِ أَخْطَبَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ، حِينَ أُجْلِيَتِ النَّضِيرُ^(٤).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّ حُيٍّ:

«مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيٍّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟».

فَقَالَ: أَذْهَبَتُهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ^(٥).

فَقَالَ ﷺ: «الْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ».

فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ؛ فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ. وَقَدْ كَانَ حُيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ خَرَبَةً، فَقَالَ:

(١) أي: فإن أخفوا شيئاً أو خبئوه.

(٢) أي: فقد نقضوا العهد والصلح؛ فلا أمان لهم ولا معاهدة ولا صلح.

(٣) أي: فأخفوا «مسكاً» أي: كيساً من جلد فيه حليٌّ لحَيٍّ بنِ أَخْطَبَ.

(٤) حُيٍّ بنُ أَخْطَبَ؛ قُتِلَ قَبْلَ فَتْحِ خَيْبَرَ. وَحِينَ أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ مِنَ

الْمَدِينَةِ؛ أَخَذَ حُيٍّ هَذَا الْكِيسَ الَّذِي فِيهِ حُلِيٌّ بَنِي النَّضِيرِ مَعَهُ.

(٥) أي: أنفقناه في حروبنا ونفقَاتنا في معاشنا.



قَدْ رَأَيْتُ حَيًّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ هَاهُنَا؛ فَذَهَبُوا فَطَافُوا،
فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي خَرِبَةٍ ^(١).

فَقَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَيْ أَبِي حُقَيْقٍ ^(٢)، وَأَحَدُهُمَا زَوْجُ
صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَّيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَسَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُمْ ^(٣)
وَذَرَارِيَّهُمْ ^(٤)، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ لِلنَّكَثِ الَّذِي نَكثُوا ^(٥)، وَأَرَادَ أَنْ
يُجْلِيَهُمْ مِنْهَا ^(٦)، فَقَالُوا:

يَا مُحَمَّدُ! دَعْنَا نَكُونَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نُصْلِحُهَا ^(٧)، وَنَقُومُ
عَلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا لِأَصْحَابِهِ غِلْمَانٌ يَقُومُونَ
عَلَيْهَا، فَكَانُوا لَا يَتَفَرَّغُونَ أَنْ يَقُومُوا.

(١) أي: فوجد المسلمون الكيس الذي به الحلي.

(٢) أي: قتل النبي ﷺ عبد الله ابن أبي الحُقَيْقِ أبا رافع؛ وهو تاجر كبير من أعيان
اليهود.

(٣) أي: أسر نساءهم.

(٤) أي: وأولادهم.

(٥) النكث: الرجوع عن العهد ونقض المواثيق.

(٦) أي: أراد النبي ﷺ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ.

(٧) أي: اتركنا نزرع ونعمل في أرض خير.

فَأَعْطَاهُمْ خَيْرَ عَلَى أَنْ لَهُمُ الشَّطْرُ^(١) مِنْ كُلِّ زَرْعٍ وَنَخْلٍ،
وَشَيْءٍ مَا بَدَأَ^(٢) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ؛ يَأْتِيهِمْ كُلَّ عَامٍ يَخْرُصُهَا
عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يُضَمُّهُمْ الشَّطْرَ.

قَالَ: فَشَكُّوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِدَّةَ خَرْصِهِ^(٣)، وَأَرَادُوا
أَنْ يَرْشُوهُ. فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ! أَتَطْعُمُونِي السُّحْتَ^(٤).

وَاللَّهُ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا تَنْتُمْ أَبْغَضُ^(٥)
إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقَرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ
وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ.

(١) أي: لهم نصف ما يخرج منها.

(٢) أي: المدة التي يراها ويرتضيها.

(٣) «الْخَرْصُ»: يقال خَرَصَ النَّخْلَةَ وَالكَرْمَةَ يَخْرُصُهَا خَرْصًا: إِذَا خَزَرَ وَقَدَّرَ مَا
عَلَيْهَا مِنَ الرُّطْبِ تَمَرًا، وَمِنَ الْعَنْبِ زَبِينًا؛ فَهُوَ مِنَ الْخَرْصِ: الظَّنُّ؛ لِأَنَّ الْخَزَرَ
إِنَّمَا هُوَ تَقْدِيرُ بَظَنٍ.

(٤) «السُّحْتُ»: الْخَرَامُ الَّذِي لَا يَحِلُّ كَسْبُهُ؛ لِأَنَّهُ يَسْحَتُ الْبَرَكَةُ: أَيِ يُذْهِبُهَا.
وَالسُّحْتُ مِنَ الْإِهْلَاكِ وَالْإِسْتِثْلَالِ.

(٥) «البغض»: عكس الحبِّ. وَهُوَ الْكُرْهُ وَالْمَقْتُ.



فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ.

قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعِيْنِي صَفِيَّةَ خُضْرَةَ، فَقَالَ:

«يَا صَفِيَّةُ! مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ؟».

فَقَالَتْ: كَانَ رَأْسِي فِي حِجْرِ ابْنِ أَبِي حُقَيْقٍ وَأَنَا نَائِمَةٌ؛
فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي!

وَقَالَ: تَمَنِّينَ مَلِكٌ يَثْرِبُ؟

قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ؛ قَتَلَ
زَوْجِي وَأَبِي وَأَخِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ:

«إِنَّ أَبَاكَ أَلَبَ الْعَرَبِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ».

حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ؛ ثَمَانِينَ
وَسَقًا^(١) مِنْ تَمَرٍ كُلِّ عَامٍ، وَعِشْرِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ.

(١) الْوَسْقُ: مِكْيَالٌ كَبِيرٌ يَسَعُ سِتِّينَ صَاعًا، وَيُعَادِلُ (١٣٠) كِيلُو جَرَامًا تَقْرِيْبًا.
وَالصَّاعُ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ، وَالْمُدُّ: مَقْدَارُ مَا يَمْلَأُ الْكَفَيْنِ.

فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، غَشَوْا الْمُسْلِمِينَ،
وَالْقَوَا ابْنَ عُمَرَ مِنْ فَوْقِ بَيْتٍ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَنْ كَانَ لَهُ سَهْمٌ ^(١) مِنْ خَيْرٍ؛
فَلْيَحْضُرْ حَتَّى نَقْسِمَهَا بَيْنَهُمْ.

فَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رِئِيسُهُمْ: لَا تُخْرِجْنَا دَعْنَا
نَكُونُ فِيهَا كَمَا أَقَرَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ.

فَقَالَ عُمَرُ لِرِئِيسِهِمْ:

أَتَرَاهُ سَقَطَ عَنِّي قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ:

«كَيْفَ بِكَ! إِذَا أَفْضَتْ بِكَ رَاحِلَتُكَ ^(٢) نَحْوَ الشَّامِ يَوْمًا،

ثُمَّ يَوْمًا». وَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَ مَنْ كَانَ شَهِدَ خَيْرٍ مِنْ أَهْلِ
الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٣).

(١) أي: النصيب.

(٢) «الرَّاحِلَةُ»: البعير القوي على الأسفار والأحمال، ويقع على الذكر والأنثى.

(٣) صحيح ابن حبان «المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع»: برقم ٥١٩٩،
للإمام العلامة الحافظ، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي رحمته الله،
متوفى ٣٥٤ هـ.



مَاتَ النَّصْرَانِيُّ، وَالسَّلَامُ

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله:

وَلَيْسَ الْمُسْلِمُونَ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

فَقَدْ كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رحمته الله إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رحمته الله
يَقُولُ: إِنَّ بِالشَّامِ كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا لَا يَقُومُ خَرَجَ الشَّامِ إِلَّا بِهِ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ: لَا تَسْتَعْمِلْهُ. فَكَتَبَ: إِنَّهُ لَا غِنَى بِنَا عَنْهُ! فَكَتَبَ
إِلَيْهِ عُمَرُ: لَا تَسْتَعْمِلْهُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِذَا لَمْ نُؤَلِّهِ ضَاعَ الْمَالُ!

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ رحمته الله: مَاتَ النَّصْرَانِيُّ، وَالسَّلَامُ.

وَبُثَّتْ - فِي الصَّحِيحِ - عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ مُشْرِكًا لَحِقَهُ
لَيْقَاتَل مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي لَا أَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ» ^(١) ^(٢).

(١) أبو داود: ٢٣٧٢.

(٢) «مجموع الفتاوى»: ٦٤٣/٢٨، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

لَنَاثُ السُّلْطَانِ

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَنَعُوهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ بِمَكَّةَ أَذَى لَهُمْ، حَتَّى خَرَجَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَاخْتَارُوا السَّكْنَى بَيْنَ أَوْلَئِكَ النَّصَارَى عِنْدَ مَلِكٍ عَادِلٍ عَلَى السَّكْنَى بَيْنَ قَوْمِهِمْ، وَالباقونَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ أَيْضًا مَعَ مَا آذَوْهُمْ بِهِ، حَتَّى قَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَكَانُوا يَضْرِبُونَ بَعْضَهُمْ وَيَمْنَعُونَ بَعْضَهُمْ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَضْعُونَ الصَّخْرَةَ عَلَى بَطْنِ أَحَدِهِمْ فِي رَمَضَاءِ مَكَّةَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَذَى، كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْتَارُ الْأَذَى فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِكْرَامِ مَعَ مَعْصِيَتِهِ، كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ اخْتَارَ الْقَيْدَ وَالْحَبْسَ وَالضَّرْبَ عَلَى مُوَافَقَةِ السُّلْطَانِ وَجُنْدِهِ، عَلَى أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ فِي كَلَامِهِ، وَعَلَى أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ أَيْضًا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ بِكَلَامٍ يَعْرِفُ أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ بَاطِلٌ، وَبِكَلَامٍ مُجْمَلٍ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: مَا أَدْرِي مَا هَذَا؟ فَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ. وَلَا عَلَى أَنْ يَقُولَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ^(١).

(١) «مجموع الفتاوى»: ١٨/٥١، لشيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي.



كَمْ أَنْفَقْتَ فِي الْحَجِّ



عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

أَدْخَلْتُ عَلَى الْمَهْدِيِّ بِمَنْى؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ.

فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! طَلَبْنَاكَ، فَأَعْجَزْنَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

جَاءَ بِكَ، فَارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ.

(١) أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (٧٩-١٦١هـ)، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيّد العلماء العاملين في زمانه، أمير المؤمنين في الحديث، المجتهد المطلق، العابد الزّاهد، قدوة العصر، قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: (هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيّد العلماء العاملين في زمانه، بعد أن مات أبو حنيفة في سجون الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لرفضه تولّي القضاء، سأل المنصور عمّن يلي أمر القضاء، فأشاروا عليه بسفيان الثوري وأخبروه بأنه أعلم أهل الأرض، فأرسل في طلبه وهو يتهرّب حتّى اضطر إلى الخروج من الكوفة إلى مكة سنة (١٥٥هـ) فأرسل المنصور في الأقاليم بمنادٍ يقول: من جاء بسفيان الثوري فله عشرة آلاف).



فَقُلْتُ: قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ ظُلْمًا وَجَوْرًا؛ فَاتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ.

فَطَأَ طَأَّ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ دَفْعَهُ؟
قَالَ: تُخَلِّيهِ وَغَيْرَكَ.

فَطَأَ طَأَّ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ.

قُلْتُ: أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ
بِالْبَابِ؛ فَاتَّقِ اللَّهَ! وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ.

فَطَأَ طَأَّ رَأْسَهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! ارْفَعْ إِلَيْنَا
حَاجَتَكَ.

قُلْتُ: وَمَا أَرْفَعُ؟ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ:
حَجَّ عُمَرُ، فَقَالَ لِخَازِنِهِ: كَمْ أَنْفَقْتَ؟

قَالَ: بِضْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَإِنِّي أَرَى هَاهُنَا أُمُورًا لَا
تُطِيقُهَا الْجِبَالُ^(١).

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٧/ ٤٤-٤٥، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني رحمته الله، متوفى ٤٣٠ هـ.



كُلُّكُمْ مَجَانِينُ

دَخَلَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ عَلَى مَجْنُونٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ.
 فَأَكْثَرُوا الْعَبَثَ بِهِ! فَقَالَ لَهُمْ:
 يَا بَنِي تَيْمٍ اللَّهُ! مَا أَعْلَمُ قَوْمًا خَيْرًا مِنْكُمْ.
 قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: بَنُو أَسَدٍ لَيْسَ فِيهِمْ مَجْنُونٌ غَيْرِي؛ قَدْ
 قَيَّدُونِي..
 وَأَنْتُمْ كُلُّكُمْ مَجَانِينُ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مُقَيَّدٌ^(١).

(١) «أخبارُ الظراف والمتماجنين»: ص ٤٦، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي رحمته الله، متوفى ٥٩٧هـ.

إِلَّا أَلْقَيْتَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: إِنَّ عُمَرَ
ابْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَانِي بِكُنُوزِ كِسْرَى، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَرْقَمَ:
أَتَجْعَلُهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ حَتَّى تُقَسِّمَهَا؟

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَا وَاللَّهِ! لَا أُؤْوِيهَا إِلَى سَقْفٍ حَتَّى
أَمْضِيهَا؛ فَوَضَعَهَا فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ، وَبَاتُوا عَلَيْهَا يَحْرُسُونَهَا،
فَلَمَّا أَصْبَحَ كَشَفَ عَنْهَا؛ فَرَأَى الْحَمْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ مَا يَكَادُ يَتَلَأَلُّ.
فَبَكَى عُمَرُ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه:
مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَيَوْمٌ شُكْرٍ، وَيَوْمٌ
سُرُورٍ، وَيَوْمٌ فَرَحٍ؟

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَيَحْكُ! إِنَّ هَذَا لَمْ يُعْطَهُ قَوْمٌ قَطُّ، إِلَّا
أَلْقَيْتَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ^(١).

قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ

(١) «تاريخ مدينة دمشق»: ٣٣٩/٤٤، للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن
الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر رضي الله عنه، متوفى ٥٧١ هـ.



أَصْلِحْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

قال السعدي: إن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمره، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خير عند الله ثوابا وخير أملا، فتوابعها بيقى، ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجرها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستبق إليها العاملون، ويجد في تحصيلها المجتهدون، وتأمل كيف لما ضرب الله مثل الدنيا وحالها واضمحلالها ذكر أن الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع به قليلاً، ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته وهو المال والبنون ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات^(١).

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٤٧٩، لشيخ عبد الرحمن

ابن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.



«لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ»



عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالْدُّنْيَا لُكْعُ ابْنِ
 لُكْعٍ»^(١)^(٢).

(١) «لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ»: أي: لثيم ابن لثيم؛ مَنْ لَا يُعْرِفُ لَهُ أَصْلٌ، وَلَا يُحَمَّدُ لَهُ خُلُقٌ، يعني السَّفَلَةَ مِنَ النَّاسِ؛ فهو وصفٌ يُطْلَقُ عَلَى الْحُمَقِ وَالذَّمِّ. (واللُّكْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْعَبْدُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْحُمَقِ وَالذَّمِّ. يُقَالُ لِلرَّجُلِ: لُكْعٌ، وَلِلْمَرْأَةِ لُكَاعٌ. وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي النَّدَاءِ، وَهُوَ اللَّثِيمُ. وَقِيلَ: الْوَسَخُ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الصَّغِيرِ؛ فَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى الْكَبِيرِ أُرِيدَ بِهِ الصَّغِيرُ الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ). «النهاية في غريب الحديث والأثر»: ٨٦٢ / ٤.

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ سَيُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَنَاسَ مَنْ لَيْسَ لَهُ خُبْرَةٌ فِي الْقِيَادَةِ وَالْحُكْمِ؛ وَهَذَا بَعْدَ تَبَدُّلِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَتَغْيِيرِهَا مِنَ الصَّلَاحِ إِلَى الْفَسَادِ، وَانْتِشَارِ الْفِتَنِ؛ فَيَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ»، أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَنْ يَأْتِيَ «حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالْدُّنْيَا»، أي: يَكُونُ أَكْثَرُ النَّاسِ سَعَادَةً، وَأَرْفَعَهُمْ مَنَاصِبًا وَمَقَامًا، وَأَطْيَبَهُمْ عَيْشًا وَأَنْفَذَهُمْ حُكْمًا بِأُمُورِ الدُّنْيَا، «لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ»، أي: لثيم ابن لثيم، أي رديء النسب، دنيء الحسب.

(٢) رواه الترمذي: ٢٢٠٩، وأحمد: ٢٣٣٠٣.



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا؛ حَتَّى تَصِيرَ لِلْكَعِ ابْنِ لُكْعٍ» ^{(١)(٢)}.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن أهل التوحيد وأهل الإيمان تقبض أرواحهم بريح طيبة قبل قيام الساعة.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ، اللَّهُ» ^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣٨٢٠.

(٢) أي: حَتَّى تَصِيرَ الدُّنْيَا مِنْ مَالِهَا وَرِيَاسَتِهَا وَجَاهِهَا «لِلْكَعِ ابْنِ لُكْعٍ»؛ لِأَنَّ الْكَرَامَ يَقُولُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَتَغْلِبُ اللَّئَامُ.

في الحديث: يخبر النبي ﷺ بما سيحدث في آخر الزمان من تقلب الأحوال: فتغلب أهل الخسة واللؤم والفساد على البلاد؛ فيتملكونها بالقهر والغلبة، ويسوسون الناس بالجهل والهوى، ويكون هذا الصنف من الخلق هم أسعد الناس بالدنيا، وأعظمهم حظاً فيها، ومكانة عند أهلها؛ وذلك لدروس معالم النبوة، وانتشار الجهل، وذهاب العلم والعلماء والصلحاء.

(٣) «صحيح مسلم»: ١٤٨.



سَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُهَا

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

قال السعدي: أي: ما من قرية من القرى المكذبة للرسول، إلا لا بد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة، أو عذاب شديد، كتاب كتبه الله، وقضاء أبرمه، لا بد من وقوعه، فليبادر المكذبون بالإنبابة إلى الله وتصديق رسله، قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب، ويحق عليهم القول^(١).

ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَوَشَّكُ الْقُرَى أَنْ تُخَرَّبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ.
قِيلَ: وَكَيْفَ تُخَرَّبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ؟!

قَالَ: إِذَا عَلَا فُجَّارُهَا أَبْرَارُهَا، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُهَا^(٢).

(١) «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ص ٤٦١، للشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

(٢) «الداء والدواء»: ص ٨٥، للإمام العلامة أبي عبد الله شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ، متوفى ٧٥١ هـ.

آثَارُ الْمَعْصِيَةِ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ؛ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَفَنَا عَذَابَ النَّارِ»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ ^(١).

قَالَ الْإِمَامُ الْقُدَوِيُّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ؛ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ الْخُرَاسَانِيُّ، الْمُلَقَّبُ بِعَابِدِ الْحَرَمَيْنِ رحمتهما الله (١٨٧هـ): إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ؛ فَأَرَى ذَلِكَ فِي خُلُقِ دَابَّتِي وَأَمْرَاتِي ^(٢).

(١) «صحيح مسلم»: ٢٦٨٨.

(٢) «الداء والدواء»: ص ٩٣، للإمام العلامة أبي عبد الله شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعيّ الدمشقيّ الحنبليّ المعروف بابن قيم الجوزية رحمتهما الله، متوفى ٧٥١هـ.

مَنْ مَعْصُومٌ مِنَ الْبَلَاءِ

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رحمته الله: كُلُّ بَلَدَةٍ يَكُونُ فِيهَا أَرْبَعَةٌ؛
فَأَهْلُهَا مَعْصُومُونَ مِنَ الْبَلَاءِ:

إِمَامٌ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ.

وَعَالِمٌ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى.

وَمَشَائِخُ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَيُحَرِّضُونَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ.

وَنِسَاؤُهُمْ مَسْتُورَاتٌ لَا يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ^(١).



(١) «الجامع لأحكام القرآن»: ٤٩/٤، في تفسير الآية: ٢١ من سورة آل عمران،
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١ هـ.



أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ

عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي.

فَقَالَ لَهُ ﷺ: «أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ؛ فَنَظَرْتَ أَبْهَدَى لَكَ، أَمْ لَا؟» ^(١) ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَتَشَهَّدَ، وَأَنْتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي؛ أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ: هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا

(١) أي: لم يكن ليُهدى إليك شيءٌ وأنت جالس في بيتِ أبيك أو أمك، وإنما أُهْدِيَ إليك لأجلِ تَوَلَّيْكَ ذَلِكَ الْعَمَلَ كَجَمْعِ الزَّكَّاتِ.

شَيْئًا^(١)؛ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ^(٢)؛ إِنْ كَانَ
بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ^(٣)، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خَوَازُ^(٤)،
وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرٌ^(٥)؛ فَقَدْ بَلَغْتُ^(٦).

فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ؛ حَتَّى إِذَا
لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطِيهِ. قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: وَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مَعِيَ
زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَلُوهُ!^(٦).

-
- (١) أي: لا يأخذ شيئاً من الصدقة بغير إذن وحق شرعي.
- (٢) أي: إلا أتى يوم القيامة حاملاً على عنقه ما سرق.
- (٣) أي: إذا ما أخذ بغيراً من الجمال، فإنه يأتي حاملاً على عنقه، ويكون له رُغَاءٌ، أي: صوت البعير.
- (٤) أي: إذا ما أخذ كانت بَقَرَةً جاءت لها خَوَازُ أي صوت البقر.
- (٥) أي: وإن كانت شاة جاء بها تَيْعَرٌ، أي: تصيح بصوت الغنم.
- (٦) رواه البخاري: ٦٦٣٦، ومن فقه الحديث: أَنَّ الْوِلَايَةَ وَالْإِمَارَةَ مِنَ الْأَمَانَةِ الَّتِي
يُسْأَلُ عَنْهَا الْوَالِي وَالْأَمِيرُ؛ فَكُلُّ مَنْ تَوَلَّى أَمْرًا لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهُ
أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ تَوَلَّى أَمْرًا أَنْ يَسْتَعِزَّ بِهَذَا الْأَمْرِ لِتَحْقِيقِ مَصْلَحَةٍ
خَاصَّةٍ لَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُحَقِّقَهَا إِلَّا بِتَوَلَّيْهِ هَذَا الْمَنْصَبَ.



أَكُلِ الْحَلَالَ

قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! بِمَا تَلِينُ الْقُلُوبُ؟ فَظَرَّ إِلَى أَصْحَابِهِ؛ فَعَمَزَهُمْ بِعَيْنِهِ، ثُمَّ أَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بِأَكْلِ الْحَلَالِ.

فَمَرَرْتُ إِلَى عَبْدِ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! بِمَا تَلِينُ الْقُلُوبُ؟ قَالَ: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَظْمِينُ الْقُلُوبِ﴾ [الرَّغَد: ٢٨].

قُلْتُ: فَإِنِّي جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - فَاحْمَرَّتْ وَجَّتَاهُ مِنَ الْفَرَحِ - قَالَ لِي: أَيُّ شَيْءٍ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؟

فَقُلْتُ: قَالَ بِأَكْلِ الْحَلَالِ. فَقَالَ: جَاءَكَ بِالْجَوْهَرِ. جَاءَكَ بِالْجَوْهَرِ! (١).

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل»: ص ١٩٠، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي رحمه الله، متوفى ٥٩٧ هـ.

لَا تَطْعَمُنَا إِلَّا طَيِّبًا

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١].

قَالَ التَّابِعِيُّ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه: وَقَفْتُ عَلَى
بَرَّازٍ بِمَكَّةَ اشْتَرَيْ مِنْهُ ثَوْبًا، فَجَعَلَ يَمْدَحُ وَيَحْلِفُ؛ فَتَرَكْتُهُ.
وَقُلْتُ: لَا يَنْبَغِي الشِّرَاءُ مِنْ مِثْلِهِ، وَاشْتَرَيْتُ مِنْ غَيْرِهِ.
ثُمَّ حَجَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَتَيْنِ؛ فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ
يَمْدَحُ وَلَا يَحْلِفُ!

فَقُلْتُ لَهُ: أَلَسْتَ الرَّجُلَ الَّذِي وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ؟
قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَخْرَجَكَ إِلَيَّ مَا أَرَى؟ مَا
أَرَاكَ تَمْدَحُ وَلَا تَحْلِفُ؟!

فَقَالَ: كَانَتْ لِي امْرَأَةٌ إِنْ جِئْتُهَا بِقَلِيلٍ نَزَرْتُهُ، وَإِنْ جِئْتُهَا بِكَثِيرٍ قَلَلْتُهُ؛ فَظَرَّ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَمَاتَهَا، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً بَعْدَهَا، فَإِذَا أَرَدْتُ الْغَدُوَّ إِلَى السُّوقِ أَخَذْتُ بِمَجَامِعِ ثِيَابِي، ثُمَّ قَالَتْ: يَا فُلَانُ! اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُطْعِمْنَا إِلَّا طَيِّبًا، إِنْ جِئْتَنَا بِقَلِيلٍ كَثَرْنَا، وَإِنْ لَمْ تَأْتِنَا بِشَيْءٍ أَعَنَّكَ بِمَغْزَلِنَا (١)(٢).

قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً ودلالةً ونصحاً، فجزاهم الله عن العباد خيراً (٣).

(١) بمغزلنا: أي: ننسج الصُوف والقطن، ونصنع الثياب ونبيعها، ولا نأكل حراماً.

(٢) «المجالسة وجواهر العلم»: ٥/ ٢٥٢، الرقم: ٢٠٩١، لأبي بكر أحمد بن

مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، متوفى ٣٣٣ هـ.

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن

كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤ هـ.

نَسْلَمُ وَيَسْلَمُونَ خَيْرَ مَنْ أَنْ نُوْجَرَ وَيَأْتُمُونَ

قال الفضل بن دكين، حدثنا سليمان الأعمش، قال:
خَرَجْتُ أَنَا وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ -كَانَ أَعُورَ الْعَيْنِ- وَنَحْنُ
نُرِيدُ الْجَامِعَ، فَلَمَّا صِرْنَا فِي خِلَالِ طُرُقَاتِ الْكُوفَةِ، قَالَ:
لِي: يَا سُلَيْمَانَ، قُلْتُ: لِيَبِّكَ، قَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ فِي خِلَالِ
طُرُقَاتِ الْكُوفَةِ كَيْ لَا نَمُرَ بِسُفْهَائِهَا، فَيَنْظُرُونَ إِلَى أَعُورِ
وَأَعْمَشٍ فَيَغْتَابُونَا وَيَأْتُمُونَ؟ قُلْتُ: يَا أَبَا عَمْرَانَ؛ وَمَا عَلَيْكَ
أَنْ نُوْجَرَ وَيَأْتُمُونَ؟

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ!

بَلْ نَسْلَمُ وَيَسْلَمُونَ خَيْرَ مَنْ أَنْ نُوْجَرَ وَيَأْتُمُونَ.

وَقَالَ عَمْرَانُ الْخِياطُ: دَخَلْنَا عَلَى إِبْرَاهِيمِ النَّخَعِيِّ نَعُودُهُ



وهو يَبْكِي، فقلنا: ما يُبْكِيكَ؟

قال: أَنتَظِرُ مَلَكَ الْمَوْتِ، لَا أَدْرِي يَشِيرُنِي بِالْجَنَّةِ أَمْ
بِالنَّارِ.

كان إمامًا في الفقه، يُعَظِّمُهُ الْأَكْبَرُ، وكان سعيد بن جبير
يقول: أَتَسْتَفْتُونِي وَفِيكُمْ إِبْرَاهِيمُ؟

وكان شديد الهَيْبَةِ، يُهَابُ كَمَا يُهَابُ الْأَمِيرُ، وكان يَتَخَوَّفُ
مِنَ الْفَتَوَى وَيَحْتَقِرُ نَفْسَهُ، ويقول: احْتِجِ إِلَيَّ، وَيَكْرَهُ أَنْ
يَسْتَنِدَ إِلَى السَّارِيَةِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يُسْأَلَ، وَحَمَلَ النَّاسَ عَنْهُ
الْعِلْمَ، وهو ابن ثمانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وكان يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ
يَوْمًا^(١).



(١) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: ٧/ ١٢-٢٢، لأبي الفرج عبد الرحمن بن
علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

كَيْفَ يُضِيعُنِي

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(١): رَكِبْتُ الْبَحْرَ؛ فَعَصَفَتْ
بِنَا رِيحٌ دَفَعَتْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، فَطَلَعْنَا إِلَيْهَا، وَإِذَا
نَحْنُ بِرَجُلٍ قَدْ عَكَفَ عَلَى صَنْمٍ يَعْبُدُهُ! فَقُلْنَا لَهُ: مَا مَعَنَا فِي
الْمَرْكَبِ مَنْ يَعْمَلُ مِثْلَ هَذَا!

قَالَ: فَأَنْتُمْ لِمَنْ تَعْبُدُونَ؟ قُلْنَا: نَعْبُدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ.

قَالَ: وَمَنْ هُوَ اللَّهُ؟ قُلْنَا: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ وَفِي
الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ. قَالَ: فَكَيْفَ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ؟

قُلْنَا: أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ فَأَخْبَرَنَا
بَذَلِكَ. قَالَ: فَمَا فَعَلَ بِرَسُولِكُمْ؟ قُلْنَا: لَمَّا أَدَّى الرَّسَالَةَ قَبَضَهُ

(١) عبد الواحد بن زيد، أَبُو عُبَيْدَةَ الْبَصْرِيُّ؛ الرَّاهِدُ، الْقُدَوِيُّ، شَيْخُ الْعُبَادِ، وَشَيْخُ
الصُّوفِيَةِ وَوَاعِظُهُمْ فِي عَصْرِهِ، هُوَ أَحَدُ تَلَامِذَةِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، مَاتَ فِي ١١٧ هـ.



اللهُ إِلَيْهِ. قَالَ: أَفَمَا تَرَكَ عِنْدَكُمْ عَلَامَةً؟ قُلْنَا: تَرَكَ فِينَا كِتَابَ
اللهِ ﷻ. قَالَ: أُرُونِي إِيَّاهُ. فَأَتَيْنَاهُ بِالمُصْحَفِ.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ قِرَاءَتَهُ؛ فَقَرَأْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَبَكَى، وَقَالَ:
يَنْبَغِي لِمَنْ هَذَا كَلَامُهُ أَنْ لَا يُعْصَى؛ فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ.

قَالَ: ثُمَّ سَأَلْنَا أَنْ نَحْمِلَهُ مَعَنَا فِي المَرَكَبِ فَحَمَلْنَاهُ
وَعَلَّمْنَاهُ سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَأَخَذْنَا
مَضَاجِعَنَا لِنَنَامَ.

قَالَ: يَا قَوْمُ! هَذَا الَّذِي دَلَّتُمُونِي عَلَيْهِ يَنَامُ؟ قُلْنَا: هُوَ حَيٌّ
قِيَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. فَقَالَ: إِنَّ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ نَوْمُ الْعَبْدِ
بَيْنَ يَدَيِ سَيِّدِهِ. ثُمَّ وَثَبَ قَائِمًا؛ فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا بَاكِيًا حَتَّى أَصْبَحَ.
قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَبَادَانَ^(١)، قُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا رَجُلٌ
غَرِيبٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، وَمِنْ المَصْلَحَةِ أَنْ نَجْمَعَ لَهُ
شَيْئًا؛ فَفَعَلُوا وَمَدَدْنَاهُ إِلَيْهِ.

(١) (عَبَادَانَ): مدينة تقع في محافظة خوزستان، جنوب غرب إيران على جزيرة
عبدان ضفاف نهر شط العرب.

فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قُلْنَا لَهُ: نَفَقَةٌ نُنْفِقُهَا عَلَيْكَ. فَقَالَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ! دَلَّيْتُمُونِي عَلَى طَرِيقٍ لَمْ تَعْرِفُوهُ، أَنَا كُنْتُ
فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ أَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَمْ يُضَيِّعْنِي؛ فَكَيْفَ
يُضَيِّعُنِي وَأَنَا أَعْبُدُهُ، وَهُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ!
ثُمَّ مَضَى وَتَرَكَنَا.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ بِمَوْضِعٍ يُعَالِجُ
سَكَرَاتِ الْمَوْتِ. فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ بِأَخْرِ رَمَقٍ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،
وَقُلْتُ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ لِي: قَدْ قَضَى حَاجَتِي الَّذِي جَاءَ
بِكُمْ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ.

قَالَ: فَاسْتَنْدْتُ بِإِزَائِهِ وَفَصَدْتُ مُؤَانَسَتَهُ سَاعَةً؛ فَعَلَبَتْنِي
عَيْنِي فَنِمْتُ؛ فَرَأَيْتُ فِي مَقَابِرِ عِبَادَانِ رَوْضَةً عَلَيْهَا قُبَّةٌ، وَتَحْتَ
الْقُبَّةِ سَرِيرٌ، وَعَلَى السَّرِيرِ جَارِيَةٌ لَمْ أَرَّ أَجْمَلَ مِنْهَا، وَهِيَ تَقُولُ:
بِاللَّهِ عَجَّلْ فِي جَهَازِهِ؛ فَقَدْ طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِ.

فَانْتَبَهْتُ! فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ؛ فَغَسَلْتُهُ وَكَفَّنْتُهُ.



فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نِمْتُ؛ فَرَأَيْتُهُ وَهُوَ فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَالْجَارِيَةُ
عَلَى السَّرِيرِ تَحْتَ الْقُبَّةِ، وَهُوَ إِلَى جَانِبِهَا يُكْرِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

مَصَابِيحُ الْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ فِي أَصْلِ الْفِطْرَةِ مُنِيرَةٌ قَبْلَ
الشَّرَائِعِ:

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي

اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥]^(١).



(١) «المواعظ والمجالس»: ص ٤١-٤٢، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي المعروف بان ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

لَوْ كَذَبَ أَحَدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَقَتَلُوهُ

قال المؤرخ تقي الدين أحمد المقرئ رحمته الله وهو يترجم عن أحمد بن عبد الله الرومي صارو ^(١) رحمته الله:

(قال لي مرة عن الأمير شيخ الصفوي ^(٢))، أَنَّهُ قَالَ لَهُ:

ذَكَرَ لِي السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقُوق، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَانِهِ، وَسَمَّاهُ لِي؛ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: لَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا فِي «الْبُخَارِيِّ» وَ«مُسْلِمٍ» فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا فِيهِمَا كَذِبٌ.

قَالَ السُّلْطَانُ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا شَيْخُ! كَانَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي زَمَانٍ لَوْ كَذَبَ أَحَدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَقَتَلُوهُ ^(٣).

(١) (صارو): أي: الأشقر.

(٢) أمير مجلس في أيام الظاهر برقوق.

(٣) «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»: ١ / ٣٤٤، لتقي الدين أحمد

ابن علي المقرئ رحمته الله، متوفى ٨٤٥هـ.



نِظَامُ الْمُلْكِ وَزَيْرُ السَّلَاجِقَةِ

قال الذهبي رحمته الله عن الوزير المصلح «نظام الملك»:

الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو علي الحسن ابن علي ابن إسحاق الطوسي، عاقل، سائس، خير، سعيد، متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفهاء.

أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد^(١)، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس^(٢)، ورغب في العلم^(٣)، وأدر على الطلبة الصلوات، وأملى الحديث، وبعده صيته.

وكان أبوه من دهاقين^(٤) بيهق، فنشأ وقرأ نحوًا، وتعانى

(١) وهي المشهورة بـ «المدرسة النظامية».

(٢) ناحية كبيرة من نواحي «نيسابور» وتشتمل على ثلاث مئة وإحدى وعشرين قرية.

(٣) له دور كبير في خدمة الشريعة الإسلامية.

(٤) يعمل بالتجارة.

الكِتَابَةِ وَالِدِّيَّانِ، وَخَدِمَ بَغَزَنَةً^(١)، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى أَنْ
وَزَرَ لِلسُّلْطَانِ «أَلْبَ آرْسَلَانَ»^(٢)، ثُمَّ لَا بَيْنَهُ «مَلِكُشَاه»^(٣).

فَدَبَّرَ مَمَالِكَهَ عَلَى أَنْتُمْ مَا يَنْبَغِي^(٤)، وَخَفَفَ الْمَظَالِمَ،
وَرَفَقَ بِالرَّعَايَا، وَبَنَى الْوُقُوفَ، وَهَاجَرَتِ الْكِبَارُ إِلَى جَنَابِهِ،
وَأَزْدَادَاتِ رَفَعْتُهُ، وَاسْتَمَرَّ عِشْرِينَ سَنَةً.

وَكَانَ فِيهِ خَيْرٌ وَتَقْوَى، وَمِيلٌ إِلَى الصَّالِحِينَ، وَخُضُوعٌ
لِمَوْعِظَتِهِمْ، يُعْجِبُهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ عِيُوبَ نَفْسِهِ، فَيَنْكَسِرُ وَيُتَكَبَّرُ.
مَوْلِدُهُ^(٥) فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ^(٦).

(١) كان يعمل في الخدمة لدى الأمراء.

(٢) بقي في وزارته؛ عشر سنين.

(٣) بقي في وزارته؛ عشرين سنة.

(٤) وألف كتاب «سياست نامه» في الآراء والنظريات الإدارية التي تُعدُّ أساساً لنظام

الحكم وإدارة الدول والممالك.

(٥) فقد ماتت أمه وهو رضيع.

(٦) في «نوقان» إحدى قُرَى «طوس».



وَقُتِلَ صَائِمًا فِي رَمَضَانَ، أَنَّهُ بَاطِنِيٌّ^(١) فِي هَيْئَةِ صُوفِيٍّ
يُنَاولُهُ قِصَّةً، فَأَخَذَهَا مِنْهُ؛ فَضَرَبَهُ بِالسَّكِينِ فِي فُؤَادِهِ، فَتَلَفَ.
وَقَتَّلُوا قَاتِلَهُ، وَذَلِكَ لَيْلَةَ جُمُعَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ
وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، بِقُرْبِ «نِهَاوَنْد». وَكَانَ آخِرُ قَوْلِهِ:
لَا تَقْتُلُوا قَاتِلِي، قَدْ عَفَوْتُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: بَهَرَ الْعُقُولَ سِيرَةُ النَّظَامِ جُودًا وَكَرَمًا
وَعَدْلًا، وَإِحْيَاءَ لِمَعَالِمِ الدِّينِ، كَانَتْ أَيَّامُهُ دَوْلَةً أَهْلُ
الْعِلْمِ^(٢).



(١) كان لنظام الملك دور كبير في محاربة المد الشيعي الباطني، أو الحشاشين؛
بقيادة «حسن الصباح» والذي كان يمثل خطرًا داهمًا على الأمة الإسلامية
والمشروع السني.

(٢) «سير أعلام النبلاء»: ١٤ / ١٤٤، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي التركماني، متوفى ٧٤٨هـ.

«إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ»

عَنْ أُمِّمَةَ بِنْتِ رُفَيْقَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بُيَاعُهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بُيَاعُكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِي، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ.

قَالَ: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ». قَالَتْ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا. هَلُمَّ بُيَاعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ»^(١)؛ إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ^(٢)»^(٣).

(١) أي: لا أَمْسُ أَيْدِيَهُنَّ.

(٢) بيانٌ مِنْهُ أَنَّ الْقَوْلَ وَالْمِشَافَهَةَ لِلنِّسَاءِ فِي الْبَيْعَةِ كَافِيَةٌ.

(٣) رواه النسائي: ١٤٩٢.

«صَدَقَ، وَهُوَ كَذُوبٌ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ. فَاتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ :

وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! شَكَأ حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ».

فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّهُ سَيَعُودُ».



فَرَصَدْتُهُ؛ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا زُرْعَتَكَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: دَعْنِي؛ فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ،
فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ،
فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ».

فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ؛ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ:
لَا زُرْعَتَكَ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنْكَ تَزْعُمُ
لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا.

قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ؛ فَاقْرَأْ آيَةَ
الْكَرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى
تَخْتِمَ الْآيَةَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ يَرَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ
شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلْتُ: قَالَ لِي:

إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ^(١).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ! تَعْلَمُ مَنْ تُحَاطَبُ مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟».

قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ» ^(٢).



(١) وكانوا ﷺ أحرصَ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ.

(٢) رواه البخاري: ٢٣١١.



أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ، أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالَ:

كَلِمَةً يَعْنِي ^(١) - «أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا لَا وَلَدًا؛ فَلَمَّا حَضَرَتِ
الْوَفَاةُ، قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ. قَالَ:
فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَرِزْ - أَوْ لَمْ يَبْتَرِزْ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا ^(٢)، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ
عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ؛ فَانْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ
فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْحَكُونِي - فَإِذَا كَانَ يَوْمَ رِيحٍ

(١) أي: معنى كلمة.

(٢) أي: لم يعمل صالحًا يُدْخِلْهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ما عدا التَّوْحِيدَ، وَأَنَّهُ إِذَا رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَإِنَّهُ
يُعَذِّبُهُ بِمَا فَعَلَ. وليس المرادُ نَفْيَ كُلِّ خَيْرٍ عَلَى الْعَمُومِ، بَلْ نَفْيَ مَا عدا التَّوْحِيدَ
وَلِذَلِكَ غُفِرَ لَهُ.

عَاصِفٍ؛ فَأَذْرُونِي فِيهَا^(١)».

فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَذْرُوهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: كُنْ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ. قَالَ اللَّهُ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقُ مِنْكَ^(٢) - قَالَ: فَمَا تَلَا فَا هُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا^(٣)». وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: فَمَا تَلَا فَا هُ غَيْرَهَا.

فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عَثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ سَلْمَانَ غَيْرِ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ: «أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ». أَوْ كَمَا حَدَّثَ^(٤).



(١) كَانَ الرَّجُلُ سَارِقَ أَكْفَانِ الْمَوْتَى فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ طَلَبَ مِنْ أَوْلَادِهِ -خَوْفًا مِنْ تَفْرِيطِهِ- أَنْ يُحْرِقُوهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَسْحَقُوهُ بَعْدَ الْحَرَقِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فَحْمًا فَيَجْعَلُوهُ رَمَادًا، ثُمَّ يَتْرَكُوهُ يَوْمَ رِيحٍ شَدِيدٍ فَيَذْهَبَ رَمَادُهُ مَعَ الرِّيحِ، وَفِي رِوَايَةٍ: (أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ)، أَي: أَلْقُوا هَذَا الرَّمَادَ فِي الْبَحْرِ.

(٢) وَقَالَ لَهُ: «كُنْ»، فَعَادَ إِنْسَانًا كَامِلًا كَمَا كَانَ قَبْلَ الْحَرَقِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: «مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقُ مِنْكَ» أَي خَوْفًا مِنْكَ، وَلَعَلَّ مِثْلَ هَذَا كَانَ مَشْرُوعًا فِي دِينِهِمْ، رَجَاءً وَأَمَلًا فِي الْمَغْفِرَةِ.

(٣) فَرَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: ٥٧٠٨.



«هَادٍ يَهْدِينِي»

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكَبُ وَأَبُو بَكْرٍ رَدِيفُهُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَعْرِفُ فِي الطَّرِيقِ لاختلافِهِ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِالْقَوْمِ فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَيَقُولُ: «هَادٍ يَهْدِينِي».

فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ بَعَثَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ وَأَصْحَابِهِ؛ فَخَرَجُوا إِلَيْهِمَا، فَقَالُوا: ادْخُلَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ؛ فَدَخَلَا. قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَنْوَرَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ الْمَدِينَةَ، وَشَهِدْتُ وَفَاتَهُ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ أَظْلَمَ، وَلَا أَقْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ ^(١).

(١) رواه أحمد في «المسند»: ١٢٢٣٤.



حَفِظْتُ الْقُرْآنَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ



حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ التُّسْتَرِيُّ الْمُقَرِّي رحمته الله
- وَكَانَ أَقَامَ بِمَسْجِدِنَا بِالْبَصْرَةِ - قَالَ:

أَقَمْتُ أَحْفَظُ الْقُرْآنَ سِنِينَ كَثِيرَةً، كُلَّمَا بَلَغْتُ إِلَى مَوْضِعٍ
أُنْسِيتُ الَّذِي قَبْلَهُ؛ حَتَّى كَأَنِّي مَا سَمِعْتُهُ قَطُّ!

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ؛ فَحَجَجْتُ، وَتَعَلَّقْتُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ؛
وَدَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُعِينَنِي عَلَى حِفْظِهِ.

وَرَجَعْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ؛ فَلَزِمْتُ التَّلْقِينَ..

فَحَفِظْتُ الْقُرْآنَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَى حَرْفِ أَبِي عَمْرٍو ^(١).

(١) أي: على قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري رحمته الله وهي من القراءات العشر المتواترة التي نتعبد الله بها، ونصل إلى مرضاته تعالى.



ثُمَّ تَعَايَيْتُ السَّبْعَةَ^(١) فَمَا حَالَ الْحَوْلُ عَلَيَّ؛ إِلَّا وَقَدْ
أَحْكَمْتُ أَكْثَرَهَا^(٢).

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إِنَّا
صَعُبَ عَلَيْنَا حِفْظُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَسَهَّلَ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِهِ،
وَأَنَّ مَنْ بَعَدَنَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمُ
الْعَمَلُ بِهِ^(٣).

وَقَالَ رضي الله عنه: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ
حَالَهُ، وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَيَقْرَأَهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ^(٤).



(١) أي: القراءات السبعة.

(٢) «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»: ص ٣٣٦، للقاضي أبي علي المحسن

ابن علي بن محمد التنوخي البصري رحمته الله، متوفى ٣٨٤ هـ.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

القرطبي رحمته الله، متوفى ٦٧١ هـ.

(٤) «تفسير الطبري»: ٧٦٥ / ٢، للإمام المفسر أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

رحمته الله، متوفى ٣١٠ هـ.

أَرَدْتُ لِنَفْسِي خَيْرًا مِنْ دُونِ النَّاسِ

قال الإمام الزَّاهِدُ أَبُو الْحَسَنِ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رحمته الله ^(١) :
 مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ؛ أَنَا فِي الْاِسْتِغْفَارِ مِنْ قَوْلِي مَرَّةً : الْحَمْدُ
 لِلَّهِ ! قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ ! قَالَ : وَقَعَ بِبَغْدَادَ حَرِيقٌ ؛ فَاسْتَقْبَلَنِي
 وَاحِدٌ . وَقَالَ : نَجَا حَانُوتُكَ . فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .
 فَأَنَا نَادِمٌ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ حَيْثُ أَرَدْتُ لِنَفْسِي خَيْرًا مِنْ
 دُونِ النَّاسِ ^(٢) .

-
- (١) العارف بالله أَبُو الْحَسَنِ السَّرِيُّ بْنُ الْمُغَلَّسِ السَّقَطِيُّ رحمته الله هو الإمام الهمام المعروف بطبيب الغذاء وتصفية القلوب، كان وحيدَ زمانه، وفريدَ دهره في الورع وأحوال السُّنَّةِ وعلوم التوحيد في القرن الثالث الهجري. وهو تلميذ معروف الكرخي، وخال الجنيد البغدادي وأستاذه رحمته الله، متوفى ٢٥٣ هـ.
- (٢) «كتاب الوافي بالوفيات»: ص ٨٥، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي رحمته الله، متوفى ٧٦٤ هـ.



مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ

* مَنْ كَانَ هَمُّهُ طَلَبَ مَحَبَّةِ اللَّهِ ﷻ أَعْطَاهُ اللَّهُ فَوْقَ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الدُّنْيَا تَبَعًا.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَمَّا تُوفِّي دَاوُدَ ﷺ أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَى سُلَيْمَانَ ﷻ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ تَسْأَلُنِي بِهَا؟ فَقَالَ سُلَيْمَانُ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يُحِبُّهُ؛ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبِي دَاوَدَ يُحِبُّهُ. وَأَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يَخْشَاهُ؛ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبِي دَاوَدَ يَخْشَاهُ. فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَأَعْطَاهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ^(١).



(١) «تفسير ابن رجب الحنبلي»: ص ٢١٢-٢١٣، للإمام الحافظ العلامة أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب ﷺ، متوفى ٧٩٥ هـ.



أَيَسْرُكَ أَنْ تَمُوتَ



عَنْ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ ^(١) قَالَ:

دَخَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ؛ فَرَأَى شَيْخًا
كَبِيرًا. فَقَالَ لَهُ: يَا شَيْخُ! أَيَسْرُكَ أَنْ تَمُوتَ؟

قَالَ: لَا وَاللَّهِ! قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ:

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَشَرُّهُ، وَجَاءَ الْكِبَرُ وَخَيْرُهُ؛ فَإِنْ قُمْتُ
حَمَدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ قَعَدْتُ ذَكَرْتُ اللَّهَ.. فَأُحِبُّ أَنْ تَدُومَ لِي
هَاتَانِ الْحَالَتَانِ ^(٢).

(١) التَّابِعِيُّ الْفَقِيه، وَمُحَدَّثُ السَّلَفِ؛ أَبُو عَمْرٍو عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ الْهَمْدَانِي الشَّعْبِيُّ، الْمَشْهُورُ بِالْإِمَامِ الشَّعْبِيِّ رحمته الله، مَاتَ فِي ١٠٠ هـ.

(٢) «تَارِيخُ مَدِينَةِ دِمَشْقَ»: ٦٨ / ١٧٤، لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هُبَيْرَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ عَسَاكِرٍ رحمته الله، مَاتَ فِي ٥٧١ هـ.



عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا شَابَ رَجُلٌ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَمُحِيتُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ ﷺ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ» قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»^{(٢)(٣)}.



(١) أخرجه أحمد في «المسند»: ٢٦٩٦، وحسنه الأرناؤوط.

(٢) أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا تَمُرُّ بِهِ سَاعَةٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَفِيدُ مِنْ طَوْلِ عُمُرِهِ فِي زِيَادَةِ الْخَيْرِ وَزِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ وَزِيَادَةِ الطَّاعَةِ وَالْخَيْرِ وَالثَّوَابِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَهَذَا يُغْبِطُ عَلَيْهِ صَاحِبُهَا.

(٣) رواه الترمذي: ٢٣٣٠.



من كراماتِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم



عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَسِيدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما كَانَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ حِنْدَسٍ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا؛ فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا. فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا، وَعَصَا هَذَا ^(١).

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ يَبِشُرُ مَعُونَةَ، وَأَسْرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قَالَ لَهُ عَامِرُ ابْنُ الطَّفِيلِ: مَنْ هَذَا؟ فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ. فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ. فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ؛ حَتَّى إِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ وُضِعَ ^(٢).

وَعَنْ أَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ

(١) رواه البخاري: ٣٨٠٥.

(٢) رواه البخاري: ٤٠٩٣.



سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ
 فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ
 قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا،
 فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا
 يَرَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**،
اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى،
 وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي
 إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجْتُ
 حَتَّى لَا أَرَاهَا!. قَالَ: «**وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ:

«**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِمَوْنِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحْتَ**
يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»^(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى
 عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ. وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا؛ فَشَكُوا حَتَّى ذَكَرُوا
 أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! إِنَّ

(١) رواه البخاري: ٥٠١٨.

هُؤْلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تَصَلِّيَ؟ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ:

أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ! فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا
أُخْرِمَ عَنْهَا، أَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الْأَوَّلِينَ وَأُخْفُ
فِي الْآخَرِينَ. قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ.

فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجُلًا إِلَى الْكُوفَةِ؛ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ
الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا؛ حَتَّى
دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ
قَتَادَةَ، يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا
يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ!

قَالَ سَعْدٌ: أَمَّا وَاللَّهِ! لَأَدْعُونَ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ
عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ؛ فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ،
وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ ^(١) يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ،
أَصَابَنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ! قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ
حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي

(١) يعني هذا الرجل، أي الذي دعا عليه سعد .

الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ^(١).

أَبْلَى عُكَّاشَةُ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بَلَاءَ حَسَنًا، وَانْكَسَرَ سَيْفُهُ فِي يَدِهِ؛ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عُرْجُونًا مِنْ نَخْلٍ، أَوْ عُودًا، فَعَادَ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي يَدِهِ سَيْفًا؛ فَقَاتَلَ بِهِ وَشَهِدَ بِهِ الْمَشَاهِدُ^(٢).

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَارِثٍ، قَالَ: شَهِدْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ﷺ بِالْحِجِرَةِ أُتِيَ بِسُمْ. فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: سُمُّ سَاعَةٍ! قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ أَزْدَرَدَهُ - أَي: ابْتَلَعَهُ - وَلَمْ يَصْبِهِ سَوْءَ^{(٣)(٤)}.

(١) رواه البخاري: ٧٥٥.

(٢) «سير أعلام النبلاء»: ٩٨١/٣، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الترمكاني، متوفى ٨٤٧ هـ..

(٣) هناك فرق بين المعجزة والكرامة: فالمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة؛ ممَّا يجريه الله على يد نبيٍّ يتحدَّى بها تصديقًا له، وَيَعْجِزُ عَنْهُ الْبَشَرُ؛ كَالنَّاقَةِ لِصَالِحِ ﷺ، وَالْيَدِ وَالْعَصَا لِمُوسَى ﷺ، وَمُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

والكرامة: هي الأمر الخارق للعادة؛ ممَّا يُجْرِيهِ اللهُ عَلَى يَدِ عَبْدٍ صَالِحٍ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهِ إِكْرَامًا لَهُ، كَمَا فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ. وَكَرَامَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ هِيَ مُعْجَزَةُ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي يَتَّبِعُهُ هَذَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهَا إِلَّا بِصَدَقِ اتِّبَاعِهِ لَهُ، وَلَا يُثَبَّتْ أَنَّهَا كَرَامَةٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ جَرَتْ عَلَى يَدِهِ مَعْرُوفًا بِالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى شَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَمَا حَدَثَ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَغَيْرِهِمْ مِنْ صَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْكَرَامَاتِ، لَا الْمُعْجَزَاتِ.

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»: ٤٩٨/٦، للالكائي؛ و«البداية والنهاية»: ٣٨٢/٦، لابن كثير.

وَلِيُّ اللَّهِ لَا يَخَالَفُ فِي شَيْءٍ

قال ابن تيمية: كل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ مقلداً في ذلك من يظن أنه ولي الله، فإنه بنى أمره على أنه ولي الله، وأن ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لن يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟! وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحياناً، أو يملأ إبريقاً من الهواء (أي: إبريقاً فارغاً يملؤه ماءً من الهواء من غير محل)، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب أو أن يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه

قد جاء فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم، أو مريض أو نحو ذلك من الأمور (أي: أنه يخبر بعض الأوقات عن أمور قد تكون غيبية)، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.

وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله (من صار عندهم من ذلك أشياء يخدعون بها عوامهم، كالبوديين والهندوس وغيرهم ممن يقوم بأعمال السحر)، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور

الإيمان والقرآن، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام
الظاهرة.

مثال ذلك: أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد
في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ، ولا يصلي الصلوات
المكتوبة، بل يكون ملابساً للنجاسات معاشاً للكلاب،
يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل، رائحته
خبيثة، لا يتطهر الطهارة الشرعية، ولا يتنظف، وقد قال
النبي ﷺ: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا
جُنُبٌ (١)(٢).

-
- (١) «صحيح ابن حبان»: ١٢٠٥، الراوي: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٢) «مجموع الفتاوى» ١١ / ١٢٠، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن
عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.





إجماع أهل السنة على وجوب السكوت عما كان بين الصحابة رضي الله عنهم



قال أحمد حكي: أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يُعْتَدُّ بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه، والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة، والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم؛ عملاً بقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد، إن أصاب فله أجران؛ أجر على اجتجاهه، وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور، ولا نقول: إنهم

مَعْصُومُونَ، بَلْ مُجْتَهِدُونَ؛ إِمَّا مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُخْطِئُونَ لَمْ يَتَعَمَّدُوا الْخَطَأَ فِي ذَلِكَ، وَمَا رُويَ مِنَ الْأَحَايِثِ فِي مَسَاوِيهِمْ؛ الْكَثِيرُ مِنْهَا مَكْذُوبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ أَوْ نُقِصَ مِنْهُ وَغَيْرُ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ^(١).

* قال القُرْطُبِيُّ: هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ مَحَبَّةِ الصَّاحِبَةِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ لِمَنْ بَعَدَهُمْ خَطَأً فِي الْفِيءِ مَا أَقَامُوا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَمُؤَالَاتِهِمْ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَأَنَّ مَنْ سَبَّهُمْ أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَوْ اعْتَقَدَ فِيهِ شَرًّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ فِي الْفِيءِ^(٢).

* وقال البرِّهاريُّ: تَرَحَّمْ عَلَيْهِ، وَتَذَكَّرْ فَضْلَهُ، وَتَكْفُفْ عَنْ زَلَّتِهِ، وَلَا تَذَكَّرْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»^(٣).

(١) «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول»: ١/١٢٠٨، للشيخ حافظ بن أحمد حكيمي، متوفى ١٣٧٧ هـ.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن»، تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١ هـ.

(٣) «شرح السنة»: ص ١١، للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، متوفى ٣٢٩ هـ.

إِذَا كَسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

قال ابن كثير: يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة، أي: اختبارًا ومحنة يعم بها المسيء وغيره لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمهما حيث لم تدفع وترفع^(١).
عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا»^(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُهُ

(١) «تفسير القرآن العظيم»: ٢٦/٣، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن

عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

(٢) «صحيح مسلم»: ١٤٤.

كما قال، قال: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ، فكيف؟ قال: قلت: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ وَالْمَعْرُوفُ - قال سُلَيْمَانُ: قَدْ كَانَ يَقُولُ: الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ - وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قال: لَيْسَ هَذِهِ أُرِيدُ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الَّتِي تَمْوِجُ كَمْوِجِ الْبَحْرِ، قال: قلت: لَيْسَ عَلَيْكَ بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأْسٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ، قال: فَيُكْسَرُ الْبَابُ أَوْ يُفْتَحُ؟ قال: قلت: لا، بَلْ يُكْسَرُ، قال: فَإِنَّهُ إِذَا كُسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا، قال: قلت: أَجَلٌ، فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مِنَ الْبَابِ، فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلُهُ، قال: فَسَأَلَهُ، فقال: عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قُلْنَا، فَعَلِمَ عُمَرُ مَنْ تَعْنِي؟ قال: نَعَمْ، كما أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةٌ، وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ ^(١).

ظَنَّ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْأَلُ عَنِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تُصِيبُ الْفَرْدَ خَاصَّةً، فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ، فَهِيَ: فِتْنَةُ تَصِيبِ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَالْمَرَادُ مِنْ شَرٍّ أَوْ حُزْنٍ أَوْ سُوءٍ، وَمَا يُفْتَتَنُ بِهِ مِنْ

(١) «صحيح البخاري»: ١٤٣٥.

صِغَارِ الذُّنُوبِ، فَتُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْحَجُّ وَالصَّدَقَةُ
وَالِاسْتِغْفَارُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنَّ هَذِهِ
الْفِتْنَةَ الْخَاصَّةَ الَّتِي تُصِيبُ الْمُسْلِمَ قَدْ تَكُونُ بِسَبَبِ حُبِّهِ
لِنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، فَتُكْفَرُهَا الْحَسَنَاتُ وَالطَّاعَاتُ.

وَلَكِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ يُرِيدُ هَذِهِ الْفِتْنَةَ الْخَاصَّةَ، بَلِ
الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ، فَيُضْطَرُّ النَّاسُ وَيُدْفَعُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهِيَ الْفِتْنَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي تُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ،
فَطَمَأَنَهُ حُذِيفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْفِتْنَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي تُصِيبُ الْمُسْلِمِينَ
بِالشُّرُورِ وَالْبَلَايَا، وَتُوقَعُ بَيْنَهُمُ الْحُرُوبُ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ؛
فَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ فِي مَأْمِنٍ مِنْهَا، وَقَالَ إِنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ
بَابًا مُغْلَقًا وَقَوِيًّا، وَلَكِنَّ هَذَا الْبَابَ (كِنَايَةٌ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) سَيُكْسَرُ
وَيَزُولُ بِالشَّدَّةِ وَالْقُوَّةِ، فَعَلَّمَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذَا الْبَابَ سَيُكْسَرُ،
وَإِذَا كُسِرَ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى مَفْتُوحًا، وَتُسْفَكَ الدِّمَاءُ، فَلَنْ تَنْتَهِيَ
الْحُرُوبُ وَالصَّرَاعَاتُ وَالتَّصَادِمَاتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.



أَرخُوا التَّارِيخَ

قال ابن كثير: اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عليهم السلام فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ - وَقِيلَ: سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ، أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ - فِي الدَّوْلَةِ الْعُمَرِيَّةِ عَلَى جَعْلِ ابْتِدَاءِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ سَنَةِ الْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ عليه السلام رُفِعَ إِلَيْهِ صَكٌّ - أَيُّ حُجَّةٍ - لِرَجُلٍ عَلَى آخَرٍ وَفِيهِ: إِنَّهُ يَحِلُّ عَلَيْهِ فِي شَعْبَانَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّ شَعْبَانَ؟ أَشَعْبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا أَوْ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، أَوِ الْآتِيَةِ؟ ثُمَّ جَمَعَ الصَّحَابَةُ فَاسْتَشَارَهُمْ فِي وَضْعِ تَارِيخٍ يَتَعَرَّفُونَ بِهِ حُلُولَ الدِّيُونِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَقَالَ قَائِلٌ: أَرَّخُوا كِتَابَ تَارِيخِ الْفُرْسِ، فَكَّرَهُ ذَلِكَ، وَكَانَتْ الْفُرْسُ يُؤَرِّخُونَ بِمُلُوكِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.

وَقَالَ قَائِلٌ: أَرَّخُوا بِتَارِيخِ الرُّومِ، وَكَانُوا يُؤَرِّخُونَ بِمُلُوكِ إِسْكَندَرَ بْنِ فِلَبْسَ الْمَقْدُونِيِّ، فَكَّرَهُ ذَلِكَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: أَرُخُوا بِمَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ بِمَبْعَثِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ بِهَجْرَتِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ بِوَفَاتِهِ الْمَلِكِ.

فَمَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى التَّارِيخِ بِالْهِجْرَةِ؛ لِظُهُورِهِ وَاشْتِهَارِهِ، وَاتَّفَقُوا مَعَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: التَّارِيخُ وَمَتَى أَرَّخُوا التَّارِيخَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: مَا عَدَّوْا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ، مَا عَدَّوْا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ.

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: اسْتَشَارَ عُمَرُ فِي التَّارِيخِ فَأَجْمَعُوا عَلَى الْهِجْرَةِ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ السَّدُوسِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: أَرَّخُوا، فَقَالَ: مَا أَرَّخُوا؟ فَقَالَ: شَيْءٌ تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ؛ يَكْتُبُونَ فِي شَهْرِ كَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا.

فَقَالَ عُمَرُ: حَسَنٌ، فَأَرَّخُوا. فَقَالُوا: مِنْ أَيِّ السِّنِينَ
 نَبْدَأُ؟ فَقَالُوا: مِنْ مَبْعَثِهِ، وَقَالُوا: مِنْ وَفَاتِهِ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى
 الْهِجْرَةِ، ثُمَّ قَالُوا: وَأَيُّ الشُّهُورِ نَبْدَأُ؟ قَالُوا: رَمَضَانُ، ثُمَّ
 قَالُوا: الْمُحَرَّمُ؛ فَهُوَ مَصْرِفُ النَّاسِ مِنْ حَجِّهِمْ، وَهُوَ شَهْرٌ
 حَرَامٌ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْمُحَرَّمِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا نُوْحُ بْنُ قَيْسٍ
 الطَّائِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ مِحْصَنِ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ فِي
 قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]. هُوَ الْمُحَرَّمُ
 فَجَرُ السَّنَةِ.

وَرَوَى عَنْ عَبْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرُ اللَّهِ،
 وَهُوَ رَأْسُ السَّنَةِ يُكْسَى الْبَيْتُ، وَيُورَّخُ بِهِ النَّاسُ، وَيُضْرَبُ
 فِيهِ الْوَرَقُ^(١).



(١) «البداية والنهاية»: ١٣/ ٢١٧، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، متوفى



الدَّاءُ، والدَّوَاءُ، والشِّفَاءُ

رَوَى عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنِ الرَّبِيعِ
ابْنِ خُثَيْمٍ^(١)، أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ:

تَدْرُونَ مَا الدَّاءُ، والدَّوَاءُ، والشِّفَاءُ؟ قالوا: لا. قَالَ:

❖ الدَّاءُ: الذُّنُوبُ.

❖ والدَّوَاءُ: الِاسْتِغْفَارُ.

❖ والشِّفَاءُ: أَنْ تَتُوبَ فَلَا تَعُودَ^(٢).



(١) التَّابِعِيُّ الْإِمَامُ الْقُدُوةَ الْعَابِدَ أَبُو يَزِيدَ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ الثُّورِيُّ الْكُوفِيُّ، أَدْرَكَ
زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَهُ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ تَلَامِيذِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ بَعْدَ
إِنْتِقَالِهِ إِلَى الْكُوفَةِ، تُوْفِيَ ٦٥ هـ.

(٢) «صفة الصفوة»: ٣٩/٢، لِأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ ؒ،
مُتَوَفَى ٥٩٧ هـ.

فسوف يأتي الله بخير

قال الإمام الليث بن سعد القلقشندي رحمته الله (ت ١٧٥ هـ):

كَانَ ابْنُ شَهَابٍ ^(١) مِنْ أَسْحَى مَنْ رَأَيْتُ، يُعْطِي كُلَّ مَنْ
جَاءَ يَسْأَلُهُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ يَسْتَسْلِفُ مِنْ عِبِيدِهِ،
فَيَقُولُ لِأَحَدِهِمْ: يَا فَلَانُ! أَسْلِفْنِي كَمَا تَعْرِفُ، وَأُضْعِفُ لَكَ
كَمَا تَعْلَمُ. فَيَسْلِفُونَهُ. وَلَا يَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا. قَالَ: وَرُبَّمَا جَاءَهُ
السَّائِلُ؛ فَلَا يَجِدُ مَا يُعْطِيهِ، فَيَتَغَيَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَجْهُهُ.
وَيَقُولُ لِلْسَّائِلِ: أَبْشِرْ؛ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِخَيْرٍ ^(٢).



(١) التابعي الجليل الإمام الفقيه حافظ زمانه؛ أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب

القرشي الزُّهري المدني نزيل الشام رحمته الله، متوفى ١٢٤ هـ.

(٢) «تاريخ مدينة دمشق»: ٣٤٢ / ٥٥، للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن

هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بابن عساكر رحمته الله، متوفى ٥٧١ هـ.

«بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا»

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

مَاتَ ابْنُ لَأْبِي طَلْحَةَ، مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ. فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ؛ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدُهُ.

قَالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ.

فَقَالَ: ثُمَّ تَصَنَعْتُ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا؛ فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا.

قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ! أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا.

قَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ. قَالَ: فَعُذِّبْتُ، وَقَالَ: تَرَكْتَنِي حَتَّى تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتَنِي بِابْنِي!

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرٍ لَيْلَتِكُمَا» قَالَ: فَحَمَلْتُ^{(١)(٢)}.

وفي رواية: «لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا».

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ
لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ^{(٣)(٤)}.



(١) أي: أُمُّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها من تلك اللَّيْلَةِ.

(٢) رواه مسلم: ٢١٤٤.

(٣) فضل الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ فِي الضَّرَاءِ وَالسَّرَاءِ وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ
وَالْعَاقِبَةِ حَمِيدَةٍ مِنْ اللَّهِ لِكُلِّ مَنْ صَبَرَ.

(٤) رواه البخاري: ١٢٣٩.

سَتَرَكَ اللَّهُ كَمَا سَتَرْتَنِي

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ^(١):

جَاءَنِي امْرَأَةٌ بِيْعْدَادَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي، فَذَكَرْتُ أَنَّهَا مِنْ
بَنَاتِ النَّاسِ، وَأَنَّهَا امْتَحِنَتْ بِمُحَنَّةٍ، وَقَالَتْ:

أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَسْتُرَنِي!

فَقُلْتُ: وَمَا مُحْتَتُّكَ؟ قَالَتْ: أَكْرَهْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَنَا
حُبْلَى، وَذَكَرْتُ لِلنَّاسِ أَنَّكَ زَوْجِي، وَأَنَّ مَا بِي مِنَ الْحَبْلِ
مِنْكَ؛ فَلَا تَفْضَحْنِي، اسْتُرْنِي سَتَرَكَ اللَّهُ ﷻ!

فَسَكَتُ عَنْهَا وَمَضَتْ، فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى وَضَعْتُ، وَجَاءَ إِمَامٌ

(١) الإمام القدوة العابد الحافظ المتقن، أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم
الأصبهاني ﷺ، متوفى ٢٧٢هـ.

الْمَحَلَّةِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْجِرَانِ يُهَنِّتُونِي بِالْوَلَدِ؛ فَأَظْهَرْتُ لَهُمُ
التَّهَلُّلَ وَوَزَنْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي دِينَارَيْنِ، وَدَفَعْتُهُمَا إِلَى الْإِمَامِ.

فَقُلْتُ: ادْفَعْ هَذَا إِلَيَّ تِلْكَ الْمَرْأَةُ لِتُنْفِقَهُ عَلَى الْمُؤَلُودِ؛
فَإِنَّهُ سَبَقَ مَا فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَكُنْتُ أَدْفَعُ فِي كُلِّ شَهْرٍ إِلَيْهَا
دِينَارَيْنِ عَلَى يَدِ الْإِمَامِ، وَأَقُولُ: هَذِهِ نَفَقَةُ الْمُؤَلُودِ إِلَى أَنْ أَتَى
عَلَى ذَلِكَ سِتَّانِ، ثُمَّ تُؤَفِّي الْمُؤَلُودُ؛ فَجَاءَنِي النَّاسُ يُعَزُّونَنِي،
فَكُنْتُ أَظْهَرُ لَهُمُ التَّسْلِيمَ وَالرِّضَا.

فَجَاءَنِي الْمَرْأَةُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي بَعْدَ شَهْرٍ، وَمَعَهَا تِلْكَ
الدَّانَائِرُ الَّتِي كُنْتُ أَبْعَثُ لَهَا بَيْدَ الْإِمَامِ؛ فَردَّتْهَا، وَقَالَتْ:

سَتَرَكَ اللَّهُ ﷺ كَمَا سَتَرْتَنِي.

فَقُلْتُ: هَذِهِ الدَّانَائِرُ كَانَتْ صِلَةً مِنِّي لِلْمُؤَلُودِ، وَهِيَ لَكَ
فَاعْمَلِي فِيهَا مَا تُرِيدِينَ^(١).

(١) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: ٣١٧/٢١، لأبي الفرج عبد الرحمن بن

علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ فِي الْمَلَأِ وَأَعْصِيَهُ فِي الْخَلَاءِ

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَسْلَمَ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَعْصُ ^(١) الْمَدِينَةَ إِذْ أَهْيَا، فَاتَّكَأَ إِلَى جَانِبِ جِدَارٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَقُولُ لَا بَنْتَهَا: يَا ابْنَتَاهُ! قُومِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَاْمْذُقِيهِ ^(٢) بِالْمَاءِ. فَقَالَتْ لَهَا: يَا أُمَّاهُ! أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا كَانَ مِنْ عَزْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ؟ قَالَتْ: وَمَا كَانَ مِنْ عَزْمَتِهِ يَا بَنِيَّةُ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى أَنْ لَا يُشَابَ اللَّبَنُ بِالْمَاءِ. فَقَالَتْ لَهَا: يَا بَنِيَّةُ! قُومِي إِلَى ذَلِكَ اللَّبَنِ فَاْمْذُقِيهِ بِالْمَاءِ؛ فَإِنَّكَ بِمَوْضِعٍ لَا يَرَاكَ عُمَرُ وَلَا مُنَادِي عُمَرَ. فَقَالَتْ الصَّبِيَّةُ لِأُمِّهَا: يَا أُمَّتَاهُ! وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ فِي الْمَلَأِ وَأَعْصِيَهُ فِي الْخَلَاءِ! وَعُمَرُ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ. فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ! عَلَّمَ الْبَابَ وَاعْرِفَ الْمَوْضِعَ. ثُمَّ مَضَى فِي عَسَسِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ

(١) يَعْصُ: يطوف.

(٢) فَاْمْذُقِيهِ: اخْلطيه.

قَالَ: يَا أَسْلَمُ امْضِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَانْظُرْ مِنَ الْقَائِلَةِ، وَمَنْ الْمَقُولُ لَهَا، وَهَلْ لَهُمْ مِنْ بَعْلٍ. فَأَتَيْتُ الْمَوْضِعَ فَنَظَرْتُ؛ فَإِذَا الْجَارِيَةُ أَيْمٌ لَا بَعْلَ لَهَا، وَإِذَا تِلْكَ أُمُّهَا، وَإِذَا كَيْسَ لَهُمَا رَجُلٌ.

فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَخْبَرْتُهُ. فَدَعَا عُمَرُ وَلَدَهُ فَجَمَعَهُمْ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى امْرَأَةٍ أَوْ جُوهٍ؟ وَلَوْ كَانَ بِأَيِّكُمْ حَرَكَةٌ إِلَى النِّسَاءِ مَا سَبَقَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى هَذِهِ الْجَارِيَةِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لِي زَوْجَةٌ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لِي زَوْجَةٌ. وَقَالَ عَاصِمٌ: يَا أَبَتَاهُ! لَا زَوْجَةَ لِي فَرَوْجَنِي. فَبَعَثَ إِلَى الْجَارِيَةِ - أَنَّهَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ - فَرَوَّجَهَا مِنْ عَاصِمٍ فَوَلَدَتْ لِعَاصِمٍ بِنْتًا، وَوَلَدَتْ الْبِنْتُ بِنْتًا، وَوَلَدَتْ الْابْنَةُ عُمَرَ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، قَالَ الشَّيْخُ: هَكَذَا وَقَعَ فِي رِوَاةِ الْأَجَرِيِّ؛ فَلَا أَدْرِي مِمَّنِ الْغَلْطُ. وَإِنَّمَا الصَّوَابُ: فَوَلَدَتْ لِعَاصِمٍ بِنْتًا وَوَلَدَتْ الْبِنْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(١).

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد»: ص ١٠-١١، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.



وَهَلْ يُسْفِكُ الدَّمَ وَتُرَكَّبُ الْعِظَائِمُ إِلَّا بِالنَّمِيمَةِ

عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، قَالَ: قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ، فَلَقَيْنِي
الشَّعْبِيُّ، فَقَالَ: يَا أَبَا زَيْدٍ! أَطْرَفْنَا مِمَّا سَمِعْتَ بِمَكَّةَ. فَقُلْتُ:
سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ يَقُولُ:

لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَافِكُ دَمٍ، وَلَا آكِلُ رَبًّا، وَلَا مَشَاءُ بَنِمِيمَةٍ!
فَعَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ عَدَلَ النَّمِيمَةَ بِسَفْكِ الدَّمِ وَأَكَلَ الرَّبَّ!
فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا؟!
وَهَلْ يُسْفِكُ الدَّمَ وَتُرَكَّبُ الْعِظَائِمُ إِلَّا بِالنَّمِيمَةِ؟^(١).



(١) «المجالسة وجواهر العلم»: ٢٧٦/١، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري
المالكي رحمته الله، متوفى ٣٣٣هـ.

سوء عاقبة لمن يكذب على رسول الله ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا - مِنْ بَنِي النَّجَّارِ - فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ؛ فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ ^(١). فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبُشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعَمَّقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبُشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعَمَّقُوا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ ^(٢).

(١) رَمَتْهُ مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ إِلَى خَارِجِهِ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: ٣٦١٧.



مَزَقَ اللَّهُ مُلْكَهُ

قَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كِسْرَى وَفَيْصَرَ، وَكِلَاهُمَا لَمْ يُسْلِمَ، لَكِنْ قَيْصَرَ أَكْرَمَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَكْرَمَ رَسُولَهُ، فَثَبَّتَ مُلْكُهُ، فَيَقَالُ: إِنَّ الْمُلْكَ بَاقٍ فِي ذُرِّيَّتِهِ إِلَى الْيَوْمِ، وَكِسْرَى مَزَقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَهْزَأَ بِرَسُولِ اللَّهِ؛ فَقَتَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَمَزَقَ مُلْكُهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْأَكَاسِرَةِ مُلْكٌ.

وَهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - تَحْقِيقُ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

فَكُلُّ مَنْ شَنَّاهُ، أَوْ أَبْغَضَهُ وَعَادَاهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْطَعُ دَابِرَهُ، وَيَمْحَقُ عَيْنَهُ وَأَثَرَهُ^(١).

(١) «الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ عَلَى شَاتِمِ الرَّسُولِ»: ٣١٦، لشيخ الإسلام تقي الدين ابن

تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.



يوالون الكفار والمنافقين



سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته الله: هَلِ الشَّيْعَةُ مِنَ الضَّالِّينَ؟ فَقَالَ:

دَأْبُ الرَّافِضَةِ دَائِمًا يَتَجَاوَزُونَ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْمَوَالِغِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالْقِتَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَلْ يَوْجَدُ أَضَلُّ مِنْ قَوْمٍ يُعَادُونَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَيُوالُونَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ؟ ^(١)



(١) «منهاج السنة النبوية»: ص ٣٧٤، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحرافى.





ذكر مسجد قرطبة الأعظم



ذَكَرَ الرَّازِيُّ عَنِ الْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا
افْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ، اسْتَدَلُّوا بِمَا فَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَخَالِدُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ
مُشَاطَرَةِ الرُّومِ فِي كَنَائِسِهِمْ؛ مِثْلَ كَنِيسَةِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا مِمَّا
أَخَذُوهُ صُلْحًا.

فَشَاطَرَ الْمُسْلِمُونَ أَعَاجِمَ قُرْطُبَةَ فِي كَنِيسَتِهِمُ الْعُظْمَى
الَّتِي كَانَتْ بِدَاخِلِهَا، وَابْتَنَى الْمُسْلِمُونَ فِي ذَلِكَ الشَّطْرِ
مَسْجِدًا جَامِعًا، وَبَقِيَ الشَّطْرُ الثَّانِي بِأَيْدِي الرُّومِ، وَهُدِّمَتْ
عَلَيْهِمْ سَائِرُ الْكَنَائِسِ.

فَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَعُمِرَتِ قُرْطُبَةُ، وَنَزَلَهَا
أُمَرَاءُ الْعَرَبِ بِجُيُوشِهِمْ، ضَاقَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْمَسْجِدُ، وَجَعَلُوا



يَعْلَقُونَ مِنْهُ سَقَائِفَ، فَنَالَ النَّاسُ مِنَ الصُّبْقِ مَشَقَّةً عَظِيمَةً.

فَلَمَّا دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْأَنْدَلُسَ، وَسَكَنَ قُرْبَةَ نَظَرَ فِي أَمْرِ الْجَامِعِ وَتَوَسَّعَ فِيهِ، وَإِتْقَانَ بِنَائِهِ؛ فَأَحْضَرَ أَعَاجِمَ قُرْبَةَ، وَسَلَّاهُمْ بَيْعَ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْكَنِيسَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَوْسَعَ لَهُمُ الْبَدَلَ فِيهِ وَفَاءً بِالْعَهْدِ الَّذِي صَوَّلِحُوا عَلَيْهِ، وَأَبَاحَ لَهُمْ بِنَاءَ كَنَائِسِهِمُ الَّتِي كَانَتْ هُدِمَتْ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتِ الْفَتْحِ بِخَارِجِ قُرْبَةَ.

وَخَرَجُوا عَنِ الشَّطْرِ؛ فَاتَّخَذَهُ وَأَدْخَلَهُ فِي الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ.

وَكَانَ شُرُوعُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ فِي هَدْمِ الْكَنِيسَةِ وَبِنَاءِ الْجَامِعِ سَنَةَ (١٦٩) وَتَمَّ بِنَاؤُهُ، وَكَمَّلَتْ بِلَاطَاتُهُ، وَاشْتَمَلَتْ أَسْوَارُهُ فِي سَنَةِ (١٧٠)، فَذَلِكَ مُدَّةٌ مِنْ عَامٍ كَامِلٍ.

فَقِيلَ: إِنَّ النَّفَقَةَ الَّتِي أَنْفَقَ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِطُولِ هَذِهِ السَّنَةِ فِي بِنَاءِ الْجَامِعِ؛ ثَمَانُونَ أَلْفًا بِالْوَاوِزَةِ^(١).

(١) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»: ص ٣٥٣، لأبي العباس أحمد

بن محمد بن عِدَّارِي المَرَاكَشِيِّ.



« لَا يَرْتَفِعُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ »

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه كَانَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ ^(١) لَا تُسَبِّقُ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسَبِّقُ؛ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ ^(٢) فَسَبَّهَا؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ ^(٣).

فَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا؛ إِلَّا وَضَعَهُ» ^{(٤)(٥)}.



(١) لِقَبِ النَّاقَةِ، وَكَانَتْ سَرِيعَةً الْعَدْوِ.

(٢) وَهُوَ مَا بَلَغَ مِنَ الْإِبِلِ مِنَ السَّنِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُجْلَسَ عَلَيْهِ.

(٣) حَتَّى عُرِفَ وَظَهَرَ عَلَى وُجُوهِهِمْ كَوْنُ هَذَا الْأَمْرِ ثَقِيلًا وَشَاقًّا عَلَيْهِمْ.

(٤) مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، أَلَّا يَرْتَفَعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ ارْتِفَاعِهِ وَهُبْطِ بَعْدَ صُعُودِهِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ صلى الله عليه وسلم أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَمَهْمَا ارْتَفَعَ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا يَدُومُ الْحَالُ فِي الدُّنْيَا لِأَحَدٍ.

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: ٢٨٧٢.

تَكْثِيرُ الشُّهُودِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

قال ابنُ القَيِّمِ: إِنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ، وَالْبَيْتِ
وَالْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَالبِقَاعِ تَكْثِيرًا لَشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ
الْبُقْعَةَ وَالذَّارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ
تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا
ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ
أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْنَاا لِيُرَوْا أَعْمَلُهُمْ
ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ١ - ٨].

فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ؛ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ثُمَّ
قَالَ: «اتَّذَرُونِ مَا أَخْبَارَهَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ:

«فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ، أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا؛ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ^(١)، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَالذَّاكِرُ لِلَّهِ ﷻ فِي سَائِرِ الْبَقَاعِ؛ مُكَثَّرُ شَهَادَتِهِ وَلَعَلَّهُمْ، أَوْ أَكْثَرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ قِيَامِ الْأَشْهَادِ، وَأَدَاءِ الشَّهَادَاتِ^(٢)؛ فَيَفْرَحُ وَيَغْتَبِطُ بِشَهَادَتِهِمْ^(٣).



(١) رواه الترمذي: ٢٤٢٩.

(٢) الشاهد أن الأرض تشهد، والشهود كثير، والملائكة يشهدون، والأرض تشهد والبقاع، وكذلك الجلود، كل ذلك ينطق على الإنسان، فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

(٣) «الوايل الصيب من الكلم الطيب»: ص ٨١، للإمام العلامة أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية رحمه الله، متوفى ٧٥١هـ.

«اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ»

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَدِمَ: عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيًّا؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ ^(١) قَدْ تَحَلَّبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي ^(٢) إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟».

قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ ﷺ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا» ^{(٣)(٤)}.

(١) أي: من الإماء.

(٢) فَقَدَتْ صَبِيَّهَا وَتَضَرَّرَتْ بِاجْتِمَاعِ اللَّبَنِ فِي ثَدْيِهَا؛ فَهِيَ تَحَلَّبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي بِهِ.

(٣) فِي الْحَدِيثِ: ضَرْبُ الْمَثَلِ بِمَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ لِمَا لَا يُدْرِكُ بِهَا؛ لِتَحْصِيلِ مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِهِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي ضُرِبَ لَهُ الْمَثَلُ لَا يَحَاطُ بِحَقِيقَتِهِ.

«فتح الباري شرح صحيح البخاري»: ص ٥٦٣، للإمام شهاب الدين أحمد بن

علي بن حجر العسقلاني، المتوفى ٨٥٢ هـ..

(٤) رواه البخاري: ٥٩٩٩.



كما تدينُ تَدانُ

جاءنا أبو عبد الله بنُ وارم الكوفيُّ المُتَكَلِّمُ. قال: كانَ عِنْدَنَا بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ عَاقٌ بِهِ؛ فَلَا حَافَ يَوْمًا فِي شَيْءٍ، فَجَرَّ بِرِجْلِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بَيْتِهِ، وَسَحَبَهُ فِي الطَّرِيقِ شَيْئًا كَثِيرًا. فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهُ، قَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ! حَسْبُكَ، فإِلَى هَاهُنَا جَرَرْتُ بِرِجْلٍ لِأَبِي إِلَى الدَّارِ؛ حَتَّى جَرَرْتَنِي مِنْهَا! ^(١).

عن أبي بكرة بن الحارث رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ الدُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ» ^(٢).

(١) «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»: ص ٣٧٧، للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري رحمته الله، متوفى ٣٨٤هـ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک علی الصحیحین»: ٧٣٤٥، للإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، متوفى ٤٠٥هـ.

ذَنْبُ الزَّنى

قال الإمام أحمد رحمته الله: لا أعلمُ بعدَ القتلِ ذنبًا أعظمَ مِنَ الزَّنى. واحتجَّ بحديثِ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] ^{(١)(٢)}.

(١) رواه البخاري: ٤٤٧٧، ومسلم: ٨٦.

(٢) «الدَّاءُ والدَّوَاءُ»: ص ١٧٦، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزية رحمته الله، متوفى ٧٥١هـ.

مفاسد الزنى

قال ابن القيم: مَفْسَدَةُ الزَّنى مُنَاقِضَةٌ لِصَلَاحِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا زَنَتْ أَذْخَلَتْ الْعَارَ عَلَى أَهْلِهَا وَزَوْجِهَا وَأَقَارِبِهَا، وَنَكَسَتْ رُؤُوسَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ حَمَلَتْ مِنَ الزَّنى، فَإِنْ قَتَلَتْ وَلَدَهَا جَمَعَتْ بَيْنَ الزَّنى وَالْقَتْلِ، وَإِنْ حَمَلَتْهُ عَلَى الزَّوْجِ أَذْخَلَتْ عَلَى أَهْلِهِ وَأَهْلِهَا أَجْنَبِيًّا لَيْسَ مِنْهُمْ، فَوَرِثَهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَرَأَاهُمْ وَخَلَا بِهِمْ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَفَاسِدِ زِنَاهَا. وَأَمَّا زِنَا الرَّجُلِ؛ فَإِنَّهُ يُوجِبُ اخْتِلَاطَ الْأَنْسَابِ - أَيْضًا - وَإِفْسَادَ الْمَرْأَةِ الْمَصُونَةِ، وَتَعْرِيزَهَا لِلتَّلَفِ وَالْفَسَادِ، وَفِي هَذِهِ الْكَبِيرَةِ خَرَابُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَإِنْ عَمَرَتِ الْقُبُورُ فِي الْبَرْزَخِ وَالنَّارُ فِي الْآخِرَةِ؛ فَكَمْ فِي الزَّنى مِنْ اسْتِحْلَالِ مُحَرَّمَاتٍ، وَفَوَاتِ حُقُوقٍ، وَوُقُوعِ مَظَالِمٍ ^(١).

(١) «الدَّاءُ وَالذَّوَاءُ»: ص ٢٥٠، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

زَوَّجَنَّ أَهَالِيكَ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اتق الله، وأمسك عليك زوجك، قال أنس: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لكتّم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: زوّجك الله أهاليك، وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سموات، وعن ثابت: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، نزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة ^(١).

قال ابن مسعود: لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، وأعلم أنني أموت في آخرها يوماً، ولي طول النكاح، لتزوّجت مخافة الفتنة ^(٢).

(١) «صحيح البخاري»: ٧٤٢٠.

(٢) «سُنَنُ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ»: ٩٧٢ / ٣، كتاب النكاح، للإمام الحافظ سعيد بن شعبة الخراساني المكي، المتوفى سنة ٧٢٢ هـ.

مغضوبٌ عليهم وضالون

قال الشيخ ابن تيمية:

قال النبي ﷺ: «اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالون»^(١)، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حدوا القدّة بالقدّة، حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».

وفي الحديث الآخر الذي في الصحيح: «لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها، شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ»، قالوا: يا رسول الله، فارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلا هؤلاء؟» ولا ريب أنه صار عند كثير من الناس من علم أهل

(١) رواه عدي بن حاتم الطائي.

الكِتَابِ وَمِنْ فَارِسَ وَالرُّومِ، مَا أَدْخَلُوهُ فِي عِلْمِ الْمُسْلِمِينَ
وَدِينِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، كَمَا دَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَقْوَالِ الْمَشْرِكِينَ
مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ وَالْيُونَانِ وَغَيْرِهِمَا، إِلَى عُقُولِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ
الَّذِينَ تَأَثَرُوا بِآرَاءِ الْمَجُوسِ وَالْفَرَسِ وَالصَّابِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ فِي
مَجَالِ الْفَلَسَفَةِ.

وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى
فِي طَائِفَةٍ هُمْ أَمْثَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ، إِذْ أَهْلُ الْكِتَابِ كَانُوا خَيْرًا مِنْ
غَيْرِهِمْ.

وَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْبِلَادَ كَانَتْ الشَّامُ وَمِصْرُ وَنَحْوُهُمَا
مَمْلُوءَةً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، النَّصَارَى وَالْيَهُودِ، فَكَانُوا
يُحَدِّثُونَهُمْ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا بَعْضُهُ حَقٌّ وَبَعْضُهُ بَاطِلٌ؛
فَكَانَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ حَدِيثًا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَعَبُ الْأَحْبَارِ. وَقَدْ
قَالَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه: مَا رَأَيْنَا فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَا عَنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ أَصْدَقَ مِنْ كَعَبٍ، وَإِنْ كُنَّا لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ أَحْيَانًا.



وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَامَّةَ مَا عِنْدَ كَعْبٍ أَنْ يَنْقُلَ مَا وَجَدَهُ فِي
كُتُبِهِمْ، وَلَوْ نَقَلَ نَاقِلٌ مَا وَجَدَهُ فِي الْكُتُبِ عَنْ نَبِيِّنا ﷺ لَكَانَ
فِيهِ كَذِبٌ كَثِيرٌ، فَكَيْفَ بِمَا فِي كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ طُولِ
الْمُدَّةِ، وَتَبْدِيلِ الدِّينِ، وَتَفْرِيقِ أَهْلِهِ، وَكَثْرَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ فِيهِ؟

وَهَذَا بَابٌ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ، وَيَنْظُرَ مَا كَانَ
عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا
جَاءَ بِهِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مِنْ دِينِ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِيِّينَ. فَإِنَّ هَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ.

وَلِهَذَا قَالَ الْأَيْمَةُ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ: أُصُولُ السُّنَّةِ
هِيَ التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْبَابَ وَجَدَ كَثِيرًا مِنَ الْبِدْعِ أُحْدِثَتْ بِأَثَارِ
أَصْلُهَا عَنْهُمْ، مِثْلُ مَا يُرَوَى فِي فَضَائِلِ بَقَاعٍ فِي الشَّامِ، مِنْ
الْجِبَالِ وَالْغِيرَانِ، وَمَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِثْلُ مَا يُذَكَّرُ
فِي جَبَلِ قَاسِيُونَ، وَمَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي فِيهِ، وَمَا فِي إِيَّانِ ذَلِكَ

مِنَ الْفَضِيلَةِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْمُفْتَرِينَ مِنَ الشُّيُوخِ جَعَلَ زِيَارَةَ
مَغَارَةٍ فِيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَعْدِلُ حَجَّةً، وَيُسَمُّوْنَهَا مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ.

وَالْآثَارُ الَّتِي تُرَوَّى فِي ذَلِكَ لَا تَصِلُ إِلَى الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا
هِيَ عَمَّنْ دُونَهُمْ مِمَّنْ أَخَذَهَا عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ
لِهَذَا أَصْلٌ؛ لَكَانَ هَذَا عِنْدَ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ قَدِمُوا الشَّامَ،
مِثْلَ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، بَلْ
وَمِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ - أَمِينِ الْأُمَّةِ - وَأَمْثَالِهِمْ.

فَقَدْ دَخَلَ الشَّامَ مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ أَفْضَلُ مِمَّنْ دَخَلَ بَقِيَّةَ
الْأَمْصَارِ غَيْرَ الْحِجَازِ، فَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ اتِّبَاعُ شَيْءٍ مِنْ
آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ، لَا مَقَابِرِهِمْ وَلَا مَقَامَاتِهِمْ، فَلَمْ يَتَّخِذُوا مَسَاجِدَ،
وَلَا كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ الصَّلَاةَ فِيهَا، وَالدُّعَاءَ عِنْدَهَا، بَلْ قَدْ ثَبَتَ
عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى قَوْمًا يَتَنَابُونَ
مَكَانًا يُصَلُّونَ فِيهِ، فَقَالَ:

مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا مَكَانٌ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:



وَمَكَانٌ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! أَتُرِيدُونَ أَنْ تَتَّخِذُوا آثَارَ
أَنْبِيَائِكُمْ مَسَاجِدَ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، مَنْ أَدْرَكَتْهُ
الصَّلَاةُ فِيهِ فَلْيُصَلِّ، وَإِلَّا فَلْيَمُضْ.

وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ مُصَلًّى
الْمُسْلِمِينَ، قَالَ لِكَعْبٍ: أَيْنَ أَبْنِيهِ؟ قَالَ: ابْنِهِ خَلْفَ الصَّخْرَةِ،
قَالَ: خَالَطَتَكَ يَهُودِيَّةٌ يَا ابْنَ الْيَهُودِيَّةِ، بَلْ أَبْنِيهِ أَمَامَهَا؛ وَلِهَذَا
كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ صَلَّى فِي قَبْلِيهِ،
وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى الصَّخْرَةِ.

وَكُنَّا يُكْذِّبُونَ مَا يَنْقُلُهُ كَعْبٌ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَهَا: أَنْتِ
عَرْشِي الْأَدْنَى، وَيَقُولُونَ: مَنْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَيْفَ تَكُونُ الصَّخْرَةُ عَرْشَهُ الْأَدْنَى؟! وَلَمْ تَكُنِ
الصَّحَابَةُ يُعْظَمُونَهَا، وَقَالُوا: إِنَّمَا بَنَى الْقُبَّةَ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ مَرْوَانَ لَمَّا كَانَ مُحَارِبًا لِابْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ
إِلَى الْحَجِّ فَيَجْتَمِعُونَ بِهِ، عَظُمَ الصَّخْرَةُ؛ لِيَسْتَغْلَوْا بِزِيَارَتِهَا
عَنْ جِهَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَإِلَّا فَلَا مَوْجِبَ فِي شَرِيعَتِنَا لِتَعْظِيمِ

الصَّخْرَةَ، وَبِنَاءِ الْقُبَّةِ عَلَيْهَا وَسَتْرِهَا بِالْأَنْطَاعِ وَالْجُوحِ.

وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ شَرِيعَتِنَا؛ لَكَانَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَمُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْلَمُ بِسُنَّتِهِ، وَأَتْبَعُ لَهَا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ لَمْ يَكُونُوا يَتَابُونَ قَبْرَ الْخَلِيلِ ﷺ بَلْ وَلَا فَتَحُوهُ، بَلْ وَلَا بَنَوْا عَلَى قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَسْجِدًا؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنُهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ».

وَلَمَّا ظَهَرَ قَبْرُ دَانِيَالٍ بُسُتِرَ كَتَبَ فِيهِ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: إِذَا كَانَ بِالنَّهَارِ فَاحْفَرِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا، ثُمَّ ادْفِنْهُ بِاللَّيْلِ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا، وَعَفِّرْ قَبْرَهُ لِيَلَّا يَفْتَنَ بِهِ النَّاسُ.

وَقَدْ تَأَمَّلْتُ الْآثَارَ الَّتِي تُرَوَى فِي قَصْدِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، وَالِدُعَاءِ عِنْدَهَا أَوْ الصَّلَاةِ، فَلَمْ أَجِدْ لَهَا عَنِ الصَّحَابَةِ أَصْلًا،



بَلْ أَصْلُهَا عَمَّنْ أَخَذَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

فَمِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ أَنْ تُمَيِّزَ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَلَا تَخْلُطُهُ بِغَيْرِهِ، وَلَا تَلْبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، كَفَعَلَ أَهْلُ الْكِتَابِ. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النُّعْمَةَ، وَرَضِيَ لَنَا الْإِسْلَامَ دِينًا.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيَاضِ، لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»^(١).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، وَخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، وَهَذِهِ السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وَجَمَاعُ ذَلِكَ بِحِفْظِ أَصْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: تَحْقِيقُ مَا جَاءَ بِهِ

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٣، وأحمد ١٧١٤٣.

الرَّسُولُ ﷺ، فَلَا يُخْلَطُ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ مِنَ الْمَقُولَاتِ الضَّعِيفَةِ،
وَالتَّفْسِيرَاتِ الْبَاطِلَةِ؛ بَلْ يُعْطَى حَقُّهُ مِنْ مَعْرِفَةِ نَقْلِهِ، وَدَلَالَتِهِ.
وَالثَّانِي: أَلَّا يُعَارِضَ ذَلِكَ بِالشُّبُهَاتِ لَا رَأْيًا وَلَا رِوَايَةً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ عِبْرَةٌ لَنَا:
﴿وَأٰمِنُوْا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ كٰفِرٍ
بِهٖ ؕ وَلَا تَسْتَرْوْا بِآيٰتِيْ ثَمًا قَلِيْلًا وَّآيٰى فَاَتَّقُوْنَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوْا
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوْا الْحَقَّ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ [البقرة: ٤١-٤٢].

فَلَا يُكْتَمُ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا يُلْبَسُ
بِغَيْرِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا يُعَارِضُ بِغَيْرِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اَتَّبِعُوْا مَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَا
تَتَّبِعُوْا مِنْ دُوْنِهٖ اَوْلِيَاءَ قَلِيْلًا مَّا تَذَكَّرُوْنَ﴾ [الأعراف: ٣]، وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيٰتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِى الظُّلُمٰتِ مَن يَشِآءُ
اللّٰهُ يُضِلِّهٖ وَمَن يَشِآءُ يَجْعَلْهُ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وَهَؤُلَاءِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ هُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ، فَإِنَّ أَحَدَهُم



إِذَا أُتِيَ بِمَا يُخَالِفُهُ، إِمَّا أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ عَلَيَّ، فَيَكُونُ قَدْ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ، أَوْ يَقُولَ: أَوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُسَمِّ مَنْ أَوْحَاهُ، أَوْ
يَقُولَ: أَنَا أَنْشَأْتُهُ، وَأَنَا أَنْزَلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَأَمَّا أَنْ يُضِيفَهُ
إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى نَفْسِهِ، أَوْ لَا يُضِيفُهُ إِلَى أَحَدٍ.

وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ هُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ،
الَّذِينَ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفِ الْقَوْلِ غُرُورًا. قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا ۖ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۚ وَكَفَى
بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٠-٣١] وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ (١).



(١) «مجموع الفتاوى»: ٨٨/١٥، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن
عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

الْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛
لَأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا.

وَقَالَ إِبْلِيسُ: أَهْلَكْتُ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكَنِي
بِالْاِسْتِغْفَارِ، وَبِلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ بَشَّتُ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ، فَهُمْ يُذْنِبُونَ، وَلَا
يَتُوبُونَ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(١).



(١) «الدَّاءُ والدَّوَاءُ»: ص ٢٢٢، للإمام محمد ابن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزية رحمته الله، متوفى ٧٥١هـ.

أَقْتَلْتُ قَتِيلًا؟

عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمته الله قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ كَانَتْ تُنَادِي، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ يَا رَبِيعُ ^(١)! أَلَا تَنَامُ؟ فَيَقُولُ: يَا أُمَّاهُ! مَنْ جُنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، وَهُوَ يَخَافُ الْبَيَاتَ حَقَّ لَهُ أَنْ لَا يَنَامَ. قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَ وَرَأَتْ مَا يَلْقَى مِنَ الْبُكَاءِ وَالسَّهَرِ، نَادَتْهُ! فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ! لَعَلَّكَ قَتَلْتَ قَتِيلًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا وَالِدَةُ. قَتَلْتُ قَتِيلًا. فَقَالَتْ: وَمَنْ هَذَا الْقَتِيلُ يَا بُنَيَّ؟ نَتَحَمَّلُ عَلَى أَهْلِهِ فَيَعْفُوكَ، وَاللَّهِ لَوْ عَلِمُوا مَا تَلْقَى مِنَ الْبُكَاءِ وَالسَّهَرِ لَقَدْ رَحِمُوكَ. فَيَقُولُ: يَا وَالِدَتِي! هِيَ نَفْسُ نَفْسِي ^(٢).



(١) التَّابِعِيُّ الْإِمَامُ الْقُدُوةَ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمِ الثَّوْرِيِّ الْكُوفِيُّ رحمته الله، مَتُوفَى ٦٥هـ.

(٢) «صِفَةُ الصَّفْوَةِ»: ٤٠/٢، لِأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَوْزِيِّ رحمته الله،

مَتُوفَى ٥٩٧هـ.



المظلوم لا يهدأ والظالم لن يهدأ



لَنْ يَهْدَأَ الْمَظْلُومُ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ حَقٍّ، وَقَضِيَّتُهُ عَادِلَةٌ
مُتَّصِلَةٌ بِالسَّمَاءِ؛ يُرَابِطُ لَهَا، وَيُرَاهِنُ عَلَيْهَا، وَالظَّالِمُ لَنْ يَهْنَأَ؛
فَدَعَوَاتُ الْمَظْلُومِينَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ، تُرْفَعُ لِلسَّمَاءِ كَالشَّرَارَةِ،
لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ..

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاتَّقِ
دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ
مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ؛ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، ودَعْوَةُ الْمَسَافِرِ،
ودَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»^(٢).

(١) متفق عليه، رواه البخاري: ٢٤٤٨، ومسلم: ١٩.

(٢) رواه أبو داود: ١٥٣٦، الترمذي: ١٩٠٥.



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ فيما يروى عَنْ رَبِّهِ ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا»^(٣).

وقال أَحَدُ الصَّالِحِينَ: اللَّهُمَّ! احْشُرْنِي مَعَ الْمَظْلُومِينَ؛ وَلَا تَحْشُرْنِي مَعَ الظَّالِمِينَ، وَأَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَظْلُومٌ، خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا ظَالِمٌ.

(١) رواه الطبراني: ٣٧١٨.

(٢) رواه مسلم: ٢٥٧٨.

(٣) رواه مسلم: ٢٥٧٧.

﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةُ رحمته الله:

الْجَنَّةُ: لَيْسَتْ اسْمًا لِمُجَرَّدِ الْأَشْجَارِ، وَالْفَوَاكِهِ، وَالطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ، وَالْحُورِ الْعِينِ، وَالْأَنْهَارِ وَالْقُصُورِ.. وَأَكْثَرُ النَّاسِ
يَغْلُطُونَ فِي مُسَمَّيِ الْجَنَّةِ!

فَإِنَّ الْجَنَّةَ: اسْمٌ لِدَارِ النَّعِيمِ الْمَطْلُوقِ الْكَامِلِ.

وَمِنْ أَعْظَمِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ
الْكَرِيمِ، وَسَمَاعِ كَلَامِهِ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ بِالقُرْبِ مِنْهُ وَبِرِضْوَانِهِ..

فَلَا نِسْبَةَ لِلذَّةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَلْبُوسِ
وَالصُّورِ، إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ أَبَدًا؛ فَأَيُّسِرُ يَسِيرٍ مِنْ رِضْوَانِهِ أَكْبَرُ مِنْ
الْجَنَانِ، وَمَا فِيهَا مِنْ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَرِضْوَنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وَكَذَلِكَ النَّارُ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا؛ فَإِنَّ لَأَرْبَابَهَا مِنْ عَذَابِ
الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ وَإِهَانَتِهِ، وَغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ، وَالْبُعْدِ عَنْهُ؛
أَعْظَمَ مِنَ التَّهَابِ النَّارِ فِي أَجْسَامِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ، بَلِ التَّهَابُ
هَذِهِ النَّارُ فِي قُلُوبِهِمْ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ التَّهَابَهَا فِي أَبْدَانِهِمْ.
وَمِنْهَا سَرَتْ إِلَيْهَا.

فَمَطْلُوبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ هُوَ الْجَنَّةُ، وَمَهْرُبُهُمْ مِنَ النَّارِ ^(١).



(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»: ٢/ ٨٠، للإمام محمد

ابن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية رحمته الله، متوفى ٧٥١هـ.

نافق حنظلة!

يَقُولُ حَنْظَلَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ^(١)! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ؛ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ^(٢)، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ^(٣) وَالصَّبِيَّاتِ^(٤)؛ فَنَسِينَا كَثِيرًا^(٥).

(١) أَي: خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ النِّفَاقَ.

(٢) أَي: نَكُونُ وَكَأَنَّا نَرَاهُمَا رَأْيَ عَيْنٍ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَاسْتِحْضَارِ الْقَلْبِ، وَتَأَثُّرِنَا بِذَلِكَ تَأَثَّرَ مَنْ يَرَاهُمَا بَعَيْنَهُ.

(٣) أَي: لَاعِبْنَاهُمْ وَصَارَ عَنْهُمْ وَانْشَغَلْنَا بِهِمْ.

(٤) أَي: مَعَيشَةُ الرَّجُلِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ حِرْفَةٍ.

(٥) أَي: كَثِيرًا مِمَّا ذَكَّرْنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَرْنَا وَكَأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ شَيْئًا؛ فَانْتَهَمَ نَفْسَهُ ﷺ بِالنِّفَاقِ بِسَبِّ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النِّفَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِظْهَارِ شَيْءٍ وَكُتْمِ غَيْرِهِ، وَهُوَ يُظْهِرُ شَيْئًا فِي حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا كَانَ مَعَ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ يَكُونُ خِلَافَ ذَلِكَ.



قال أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ! إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا!

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ؛ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَمَا ذَاكَ؟». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا
بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ،
عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى
مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى
فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ! سَاعَةً وَسَاعَةً^(١)» ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ^{(٢)(٣)}.

(١) أي: ساعة في الذِّكْرِ والعبادة، وساعة في الانشغال بحَوَائِجِ الْأَوْلَادِ وَالْأَزْوَاجِ
ومخالطتهم ومُتْلَاعِيَتِهِمْ، وفي استحضار الجنة والنار والتفكير بهما فالمطلوبُ
من الإنسان أَنْ يَعْمَلَ أَعْمَالًا صَالِحَةً وَيَجْتَنِبَ الْحَرَامَ، وَكَرَّرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
«سَاعَةً وَسَاعَةً»؛ تَأْكِيدًا لِلْمَعْنَى وَإِزَالَةً لِلشُّبْهِ وَالتَّفَاقُحِ عَنْهُمْ.

(٢) بيان أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَعْطَتْ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فِي الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَالْأَقَارِبِ، وَإِذَا أَثْقَلَ الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ مَلًّا وَتَعَبَ وَرُبَّمَا يَضِيعُ الْحَقُّوقُ، لَذَا عَلَيْهِ
مِرَاعَاةُ نَفْسِهِ وَالْإِنْصِيَاعَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري: ٢٥١٤، ومسلم: ٢٧٥٠.

مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النِّسَاء: ٨٠].

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه مَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى^(١).

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُو شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝﴾ [النَّجْم: ١-٦].



(١) «تفسير القرآن العظيم»، تفسير سورة النساء: ٨٠، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.».



«مَنْ كَانَ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى»



عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، النبي ﷺ، قال: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»^(١).

«إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً»، أي: أن جميع الأمور والأفعال؛ كالعبادة والاجتهاد، له نشاط وحرص ورغبة في العمل في أوله، «وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ»، أي: ضعف وكسل وسكون وعجز بعد فترة من العبادة المكثفة، فالعابد يُبَالِغُ في الحرص في العبادة أولاً، ثُمَّ تَسْكُنُ شِرَّتُهُ وَتَفْتُرُ عَزِيمَتُهُ بعد حين؛ لذا أَمَرَ بهذا: «فَمَنْ كَانَ فِتْرَتُهُ»، أي: فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَةُ خُمُولِهِ وَكُسَلِهِ، «إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى»، فَسُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» أي: اقْصِدُوا الصَّوَابَ وَالْاِقْتِصَادَ وَلَا تُفْرِطُوا فَتُجْهِدُوا

(١) «صحيح الجامع»: الألباني، ٢١٥٢، و«أخرجه أحمد»: ٦٩٥٨، و«ابن حبان»: ١١، و«الطبراني»: ٤٢٩/١٣، ١٤٢٧٤، باختلاف يسير.

أَنْفُسَكُمْ؛ فَيُفْضِي بِكُمْ إِلَى الْمَلَلِ، فَالتَّوَسُّطُ مَعَ الْمُدَاوِمَةِ
وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَعَدَمِ الرِّيَاءِ هُوَ الْأَفْضَلُ، «وَمَنْ كَانَتْ إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»؛ وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِهِ وَهَدْيِهِ ﷺ فَهُوَ
مِنَ الْهَالِكِينَ.

قال جعفر الخلدي سمعت الجُنَيْدَ يَقُولُ: الطَّرِيقُ كُلُّهَا
مَسْدُودَةٌ عَلَى الْخَلْقِ، إِلَّا مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ وَاتَّبَعَ
سُنَّتَهُ وَلَزِمَ طَرِيقَتَهُ، فَإِنَّ طَرِيقَ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا مَفْتُوحَةٌ عَلَيْهِ^(١).

(١) «كتاب الفقيه والمتفقه»: ١ / ١٥٠، للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي
ابن ثابت الخطيب البغدادي، متوفي ٤٦٣ هـ.



فَضْلُ نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ ﷺ



لَقَدْ قَصَّ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ^(١)، قِصَّةَ نَبِيِّهِ يَوْسُفَ
بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ
الْغَافِلِينَ﴾ [يُوسُف: ٣].

لَقَدْ ابْتَلَى اللَّهُ يَوْسُفَ ﷺ بِمَحَنٍ كَثِيرَةٍ، وَعَانَى مِنْ
الْمِحَنِ. فَتَعَرَّضَ لِلْبُغْضِ الشَّدِيدِ وَالْحُبِّ الشَّدِيدِ؛ فَالْبُغْضُ
الشَّدِيدُ جَلَبَ لَهُ مَهْلَكَةً مَعَ إِخْوَتِهِ، فَسَبَّيْهِ أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ
وَبِيعَ كَالسَّلْعَةِ، وَبَسَبَبِ الْحُبِّ الشَّدِيدِ أُلْقِيَ فِي السَّجَنِ، وَهُوَ
الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ.

(١) هذه القصة نزلت على النبي ﷺ في فترة حَرْجَةٍ مِنْ تَارِيخِ الدَّعْوَةِ، بَيْنَ عَامِ
الْحُزْنِ الَّذِي سَمِيَ لَمُوتِ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ ﷺ وَبَيْنَ بَيْعَةِ الْعُقْبَةِ؛ فَكَانَتْ
بَلَسْمًا وَتَرْوِيحًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَصَحَابَتِهِ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
**«الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ
 ابْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»**^(١).

يُبينُ الْحَدِيثَ فَضَلَ نَبِيِّ اللَّهِ يَوْسُفَ عليه السلام؛ فَقَدْ كَانَ ذَا
 عَزِيمَةٍ وَصَبْرٍ عَظِيمٍ فَهُوَ مِنْ سَلِيلِ الْأَنْبِيَاءِ، كَرِيمٌ، وَابْنُ نَبِيِّ
 كَرِيمٍ، هُوَ يَعْقُوبُ عليه السلام ابْنُ نَبِيِّ كَرِيمٍ، هُوَ إِسْحَاقُ عليه السلام، ابْنُ
 نَبِيِّ كَرِيمٍ، هُوَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام. وَقَدْ جَمَعَ الْأَخْلَاقَ وَشَرَفَ
 النَّبُوَّةَ، وَهُوَ ابْنُ لِثْلَاثَةِ أَنْبِيَاءَ مُتَنَاسِلِينَ، وَمَلَكَ الدُّنْيَا وَحَكَمَ
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«نَحْنُ أَحَقُّ
 بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قَالَ
 أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي»** [البَقَرَةُ: ٢٦٠]، وَيَرْحُمُ
 اللَّهُ لَوْطًا؛ لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثَ فِي السَّجْنِ
 طُولَ مَا لَبِثَ يَوْسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^(٢).

(١) «صحيح البخاري»: ٤٦٨٨.

(٢) «صحيح البخاري»: ٣٣٧٢.



إِعْجَابًا بِصَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ عليه السلام وَقُوَّةَ عَزِيمَتِهِ، قَالَ:
«وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السَّجْنِ طَوْلَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»
 أَي: لَوْ مَكَثْتُ فِي السَّجْنِ بِمِثْلِ الْمُدَّةِ الَّتِي مَكَثَهَا يُوسُفُ عليه السلام،
 لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ وَأَسْرَعْتُ لِلْخُرُوجِ مِنَ السَّجْنِ، حَيْثُ
 قَالَ يُوسُفُ عليه السلام لِرَسُولِ الْمَلِكِ الَّذِي أَتَى إِلَيْهِ لِيُخْرِجَهُ
 مِنَ السَّجْنِ: **«أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي
 قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ»** [يُوسُف: ٥٠]، لَمْ يُسْرِعْ
 لِلْخُرُوجِ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ شِدَّةِ صَبْرِهِ.

قال ابن كثير: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَارًا عَنِ الْمَلِكِ لَمَّا رَجَعُوا
 إِلَيْهِ بِتَعْبِيرِ رُؤْيَاهُ الَّتِي كَانَ رَأَاهَا بِمَا أَعْجَبَهُ وَأَيَقَنَهُ، فَعَرَفَ فَضْلَ
 يُوسُفَ عليه السلام وَعِلْمَهُ، وَحُسْنَ إِطْلَاعِهِ عَلَى رُؤْيَاهُ، وَحُسْنَ
 أَخْلَاقِهِ عَلَى مَنْ يَبْلَدُهُ مِنْ رَعَايَاهُ، فَقَالَ: **«اتَّوْنِي بِهِ»** أَي:
 أَخْرِجْهُ مِنَ السَّجْنِ وَأَحْضِرْهُ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ بِذَلِكَ
 امْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَلِكُ وَرَعِيَّتُهُ بَرَاءَةَ سَاحَتِهِ،
 وَنَزَاهَةَ عَرَضِهِ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَأَنَّ هَذَا
 السَّجْنَ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَمْرِ يَقْتَضِيهِ، بَلْ كَانَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، قَالَ:

﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِثْمَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلِيمٌ ﴾ [يُوسُف: ٥٠]^(١).

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: يَهُمُّ أَحَدُهُمْ بِالذَّنْبِ فَيَذْكُرُ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَيَدْعُوهُ، فَكَانَ يُوسُفُ مِمَّنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ.

ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ شَابًّا عَزْبًا أَسِيرًا فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَقَارِبُ أَوْ أَصْدِقَاءُ فَيَسْتَحْيِي مِنْهُمْ إِذَا فَعَلَ فَاِحِشَةً، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَمْنَعُهُ مِنْ مَوَاقِعَةِ الْقَبَائِحِ حَيَاؤُهُ مِمَّنْ يَعْرِفُهُ، فَإِذَا تَغَرَّبَ فَعَلَ مَا يَشْتَهِيهِ، وَكَانَ - أَيْضًا - خَالِيًا لَا يَخَافُ مَخْلُوقًا، فَحُكِمَ النَّفْسِ الْأَمَّارَةُ - لَوْ كَانَتْ نَفْسُهُ كَذَلِكَ - أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَعَرِّضُ لَهَا، بَلْ يَكُونُ هُوَ الْمُتَحَيِّلُ عَلَيْهَا، كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةٌ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَهُ غَرَضٌ فِي نِسَاءِ الْأَكَابِرِ إِنْ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنَ الدَّعْوَةِ ابْتِدَاءً،

(١) «تفسير القرآن العظيم»، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

فَأَمَّا إِذَا دُعِيَ وَلَوْ كَانَتْ الدَّاعِيَةُ خَدَامَةً؛ لَكَانَ أَسْرَعَ مُجِيبٍ،
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ الدَّاعِيَةُ سَيِّدَتَهُ الْحَاكِمَةَ عَلَيْهِ، الَّتِي يَخَافُ
الضَّرَرَ بِمُخَالَفَتِهَا؟!

ثُمَّ إِنَّ زَوْجَهَا -الَّذِي عَادَتْهُ أَنْ يَزْجُرَ الْمَرْأَةَ- لَمْ يُعَاقِبْهَا،
بَلْ أَمَرَ يَوْسُفَ بِالْإِعْرَاضِ كَمَا يَنْعَرُ الدِّيُوثُ، ثُمَّ إِنَّهَا اسْتَعَانَتْ
بِالنِّسَاءِ وَحَبَسَتْهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ
الْجَاهِلِينَ﴾ [يُوسُفَ ٣٣].

فَلْيَتَذَكَّرِ اللَّيِّبُ هَذِهِ الدَّوَاعِيَ الَّتِي دَعَتْ يَوْسُفَ إِلَى مَا
دَعَتْهُ، وَأَنَّهُ مَعَ تَوَفُّرِهَا وَقَوَّتِهَا لَيْسَ لَهُ عَن ذَلِكَ صَارِفٌ إِذَا
فَعَلَ ذَلِكَ، وَلَا مَنْ يُنَجِّيه مِنَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِيَتَّيِّنَ لَهُ أَنَّ الَّذِي
ابْتُلِيَ بِهِ يَوْسُفُ كَانَ مِنَ أَعْظَمِ الْأُمُورِ، وَأَنَّ تَقَوَّاهُ وَصَبْرَهُ
عَنِ الْمَعْصِيَةِ -حَتَّى لَا يَفْعَلَهَا مَعَ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ لَهُ حَتَّى
لَا يُجِيبَهُمْ- كَانَ مِنَ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ وَأَكْبَرَ الطَّاعَاتِ، وَإِنَّ
نَفْسَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَتْ مِنْ أَزْكَى الْأَنْفُسِ،

فَكَيْفَ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^[يُوسُفَ ٥٣] وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَهُ بِرِيئَةٌ لَيْسَتْ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، بَلْ نَفْسُهُ زَكِيَّةٌ مِنْ أَعْظَمِ النَّفُوسِ زَكَاءً، وَالْهَمُّ الَّذِي وَقَعَ كَانَ زِيَادَةً فِي زَكَاءِ نَفْسِهِ وَتَقْوَاهَا، وَبِحُصُولِهِ مَعَ تَرْكِهِ لِلَّهِ لَتَثَبَّتَ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تُزَكِّي نَفْسَهُ.

وَقَالَ: إِنَّ الْخِيَانَةَ ضِدُّ الْأَمَانَةِ، وَهُمَا مِنْ جِنْسِ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ؛ وَلِهَذَا أَنْ يُقَالَ: الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَيُقَالَ: الْكَاذِبُ الْخَائِنُ. وَهَذَا حَالُ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَذَبَتْ عَلَى يُوسُفَ فِي مَغِيبِهِ وَقَالَتْ: رَاودَنِي؛ لَكَانَتْ كَاذِبَةً وَخَائِنَةً، فَلَمَّا اعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا هِيَ الْمُرَاوِدَةُ، كَانَتْ صَادِقَةً فِي هَذَا الْخَبَرِ أَمِينَةً فِيهِ، وَلِهَذَا قَالَتْ: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^[يُوسُفَ ٥١] فَأُخْبِرَتْ بِأَنَّهُ صَادِقٌ فِي تَبَرُّتِهِ نَفْسَهُ دُونَهَا.

فَأَمَّا فِعْلُ الْفَاحِشَةِ فَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْخِيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ، وَلَكِنَّهُ بَابُ الظُّلْمِ وَالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ، كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ^ط



إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿يُوسُفُ ٢٣﴾. وَلَمْ يَقُلْ هُنَا: الْخَائِنِينَ.
 ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ
 عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿يُوسُفُ ٢٤﴾، وَلَمْ يَقُلْ: لِنَصْرِفَ عَنْهُ الْخِيَانَةَ؛
 فَلْيَتَدَبَّرِ اللَّبِيبُ هَذِهِ الدَّفَائِقَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ فِي الْكَلَامِ الْمُحْكَمِ الَّذِي أَقَرَّهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ
 لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ﴿يُوسُفُ ٥٣﴾، وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى
 أَنَّهُ لَيْسَتْ كُلُّ نَفْسٍ أَمَّارَةً بِالسُّوءِ، بَلْ مَا رَحِمَ رَبِّي لَيْسَ فِيهِ
 النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ.

وَقَدْ ذَكَرَ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ النَّفْسَ لَهَا ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:
 تَكُونُ أَمَّارَةً بِالسُّوءِ، ثُمَّ تَكُونُ لَوَّامَةً، أَيْ تَفْعَلُ الذَّنْبَ ثُمَّ تَلُومُ
 عَلَيْهِ، أَوْ تَتَلَوَّمُ فَتَتَرَدَّدُ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالتَّوْبَةِ، ثُمَّ تَصِيرُ مُطْمَئِنَّةً.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَا رَحِمَ رَبِّي مِنَ النَّفُوسِ لَيْسَتْ
 بِأَمَّارَةٍ، وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ مُنْقَسِمَةً إِلَى مَرْحُومَةٍ وَأَمَّارَةٍ، فَقَدْ
 عَلِمْنَا قَطْعًا أَنَّ نَفْسَ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مِنَ النَّفُوسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ؛
 لِأَنَّهَا أَمَرَتْ بِذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَرَاوَدَتْ وَافْتَرَتْ وَاسْتَعَانَتْ

بِالنُّسْوَةِ وَسَجَنَتَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ بِالسَّوِّءِ.

وَأَمَّا يَوْسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ
مِنَ النَّفُوسِ الْمَرْحُومَةِ عَنْ أَنْ تَكُونَ أَمَارَةً فَمَا فِي الْأَنْفُسِ
مَرْحُومٍ؛ فَإِنَّ مَنْ تَدَبَّرَ قِصَّةَ يَوْسُفَ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي رَحِمَ بِهِ
وَصَرَفَ عَنْهُ مِنَ السَّوِّءِ وَالْفَحْشَاءِ مِنْ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ، وَلَوْ لَا
ذَلِكَ لَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ وَجَعَلَهُ عِبْرَةً، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ
الصَّالِحِينَ الْكِبَارِ وَالصُّغَارِ إِلَّا وَنَفْسُهُ إِذَا ابْتُلِيََتْ بِمِثْلِ هَذِهِ
الدَّوَاعِي، أَبْعَدُ عَنْ أَنْ تَكُونَ مَرْحُومَةً مِنْ نَفْسِ يَوْسُفَ.

وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسُ يَوْسُفَ مَرْحُومَةً،
فَمَا فِي النَّفُوسِ مَرْحُومٍ، فَإِذَا كُلُّ النَّفُوسِ أَمَارَةٌ بِالسَّوِّءِ، وَهُوَ
خِلَافُ مَا فِي الْقُرْآنِ.

وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى الْحِكَايَةِ الْمَذْكُورَةِ عَنْ مُسْلِمٍ بْنِ يَسَارٍ
- وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ الْبَصْرِيُّ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ،
فَقِيهٌ نَاسِكٌ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ، لَا يَفْضُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ،
قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: (كَانَ ثِقَةً فَاضِلًا عَابِدًا وَرِعًا)، أَصْلُهُ مِنْ مَكَّةَ،
سَكَنَ الْبَصْرَةَ، فَكَانَ مُفْتِيَهَا وَتُوفِّيَ بِهَا عَامَ (١٠٨ هـ) - أَنْ



أَعْرَابِيَّةٌ دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا وَهُمَا فِي الْبَادِيَةِ؛ فامْتَنَعَ وَبَكَى، وَجَاءَ أَخُوهُ وَهُوَ يَبْكِي، فَبَكَى وَبَكَتِ الْمَرْأَةُ وَذَهَبَتْ، فَنَامَ فَرَأَى يَوْسُفَ فِي مَنَامِهِ، وَقَالَ: أَنَا يَوْسُفُ الَّذِي هَمَمْتَ، وَأَنْتَ مُسْلِمٌ الَّذِي لَمْ تَهَمْ.

فَقَدْ يَظُنُّ مَنْ يَسْمَعُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ أَنَّ حَالَ مُسْلِمٍ كَانَ أَكْمَلَ. وَهَذَا جَهْلٌ لَوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ مُسْلِمًا لَمْ يَكُنْ تَحْتَ حُكْمِ الْمَرْأَةِ الْمُرَاوِدَةِ وَلَا لَهَا عَلَيْهِ حُكْمٌ، وَلَا لَهَا عَلَيْهِ قُدْرَةٌ أَنْ تَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَتَسْتَعِينَ بِالنِّسْوَةِ وَتَحْبِسَهُ، وَزَوْجُهَا لَا يُعِينُهُ، وَلَا أَحَدٌ غَيْرَ زَوْجِهَا يُعِينُهُ عَلَى الْعِصْمَةِ، بَلْ مُسْلِمٌ لَمَا بَكَى ذَهَبَتْ تِلْكَ الْمَرْأَةُ، وَلَوْ اسْتَعْصَمَتْ لَكَانَ ضَرَاخُهُ مِنْهَا أَوْ خَوْفُهَا مِنَ النَّاسِ يَصْرِفُهَا عَنْهُ. أَيْنَ هَذَا مِمَّا أُبْتَلِيَ بِهِ يَوْسُفُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟!

الثَّانِي: أَنَّ الْهَمَّ مِنْ يَوْسُفَ لَمَّا تَرَكَهُ اللَّهُ كَانَ لَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَلَا نَقْصَ عَلَيْهِ. وَثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»

وهذا المُجَرَّدُ الدَّعْوَةُ، فَكَيْفَ بِالْمُرَاوَدَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالْحَبْسِ؟
 ومعلومٌ أنها كانت ذاتَ منصبٍ، وقد ذُكِرَ أنها كانت ذاتَ
 جمالٍ وهذا هو الظاهر، فَإِنَّ امرأةَ عزيز مصر يشبه أن تكونَ
 جميلة، وأما البدويَّةُ الداعيةُ لمسلم فلا ريب أنها دون ذلك،
 ورؤياه في المنام وقوله: أنا يوسف الذي هممت، وأنت
 مسلم الذي لم تهم؛ غايتهُ أن يكون بمنزلة أن يقول ذلك له
 يوسف في اليقظة، وإذا قال هذا، كان هذا خيراً له ومدحاً
 وثناءً، وتواضعاً من يوسف، وإذا تواضعَ الكبير مع من دونه
 لم تسقط منزلته^(١).



(١) «مجموع الفتاوى»: ٨١ / ١٥، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن
 عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی الدمشقی الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.

وَلَسْتُ أَبْرِيْ نَفْسِيْ

قال ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يُوسُف: ٥٣]، تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ﴾ أي: إلا من عصمه الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّيْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام. وقد حكاها الماوردي في تفسيره^(١).

وقال الشيخ ابن تيمية: وإذا كان الأمر في يوسف كذلك، كان ما ذكر من قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيْ﴾، إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فريه على الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه، وفيه الإغتيال لبني كريم، وقول الباطل فيه بلا دليل، ونسبته

(١) «تفسير القرآن العظيم»، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

إِلَى مَا نَوَّهَهُ اللَّهُ مِنْهُ، وَغَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ أَنْ يَكُونَ أَصْلَ هَذَا مِنَ
الْيَهُودِ أَهْلُ الْبُهْتِ - الْبَهْتُ: الْكَذِبُ وَالْإِفْتِرَاءُ -، الَّذِينَ كَانُوا
يَرْمُونَ مُوسَى بِمَا بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ، فَكَيْفَ بَغْيِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؟

وَقَدْ تَلَقَّى نَفْلَهُمْ مَنْ أَحْسَنَ بِهِ الظَّنَّ، وَجَعَلَ تَفْسِيرَ
الْقُرْآنِ تَابِعًا لِهَذَا الْإِعْتِقَادِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُنْحَرِفِينَ فِي مَسْأَلَةِ
الْعِصْمَةِ عَلَى طَرَفِي نَقِيضٍ، كِلَاهُمَا مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ
بَعْضِ الْوُجُوهِ: قَوْمٌ أَفْرَطُوا فِي دَعْوَى امْتِنَاعِ الذُّنُوبِ حَتَّى
حَرَّفُوا نُصُوصَ الْقُرْآنِ الْمُخْبِرَةَ بِمَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ التَّوْبَةِ
مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَغْفِرَةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِمْ بِذَلِكَ. وَقَوْمٌ
أَفْرَطُوا فِي أَنْ ذَكَرُوا عَنْهُمْ مَا دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى بَرَاءَتِهِمْ مِنْهُ،
وَأَضَافُوا إِلَيْهِمْ ذُنُوبًا وَعُيُوبًا نَزَّهَهُمُ اللَّهُ عَنْهَا.

وَهَؤُلَاءِ مُخَالِفُونَ لِلْقُرْآنِ، وَهَؤُلَاءِ مُخَالِفُونَ لِلْقُرْآنِ.
وَمَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ كَانَ مِنَ
الْأُمَّةِ الْوَسْطِ - الْأَفْضَلِ وَالْأَجْوَدِ -، مُهْتَدِيًا إِلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ^(١).

(١) «مجموع الفتاوى»: ١٨/٥١، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٢٨هـ.



أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْثَرُ أَجْرًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْثَرُ أَجْرًا؟

قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ^(١) شَحِيحٌ^(٢) تَخْشَى^(٣)
الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ^(٤) الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ^(٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُقُومَ^(٦)
قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ^(٧)»^(٨).

(١) أَي: لَيْسَ بِكَ مَرَضٌ أَوْ عِلَّةٌ.

(٢) أَي: الْبُخْلُ مَعَ الْحَرَصِ.

(٣) أَي: تَخَافُ مِنَ الْفَقْرِ.

(٤) أَي: تَتَمَنَّى.

(٥) أَي: تُؤَخِّرُ.

(٦) أَي: شَعَرَتْ بِقُرْبِ الْمَوْتِ.

(٧) أَي: الْحُقُوقُ وَالذُّيُونُ.

(٨) متفق عليه، رواه البخاري: ١٤١٩، ومسلم: ١٠٣٢.

لَكَ بِهَا سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه، جاء رجلٌ بناقةٍ مَخْطُومَةٍ، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»^(١).

مَخْطُومَةٌ أي: حَبْلٌ ملفوفٌ حَوْلَ أَنْفِ النَّاقَةِ لِيُقَادَ بِهِ فَهِيَ صَالِحَةٌ لِلْحَمْلِ وَلِلرُّكُوبِ، وَهِيَ أَنْثَى الْجَمَلِ.

مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) «صحيح مسلم»: ١٨٩٢.

«وَمَنْ يُّوقَ شَحَّ نَفْسِهِ»

قال ابن القيم: فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرًا عَجَبِيًّا فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ ظَالِمٍ، بَلْ مِنْ كَافِرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَتَهُمْ وَعَامَتَهُمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مَقَرُّونَ بِهِ لَا نَهَمَ جَرَّبُوهُ.

وقال: وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه البخل، فيبقى قلبه في سجنه كما هو، فالمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره.

ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها، لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]^(١).

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب»: ص ٦٩-٧٥، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

الإيمان: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمته الله: لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ: مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَهْلَ الْحِجَازِ، وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَالْكُوفَةَ، وَالْبَصْرَةَ، وَوَاسِطَ، وَبَغْدَادَ، وَالشَّامَ، وَمِصْرَ؛ لَقِيتُهُمْ كَرَّاتٍ، قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، ثُمَّ قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ، أَذْرَكْتُهُمْ وَهُمْ مُتَوَافِرُونَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً أَهْلَ الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَالْجَزِيرَةِ مَرَّتَيْنِ، وَالْبَصْرَةَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي سِنِينَ ذَوِي عَدَدٍ بِالْحِجَازِ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، وَلَا أَحْصِي كَمْ دَخَلْتُ الْكُوفَةَ وَبَغْدَادَ مَعَ مُحَدِّثِي أَهْلِ خُرَّاسَانَ مِنْهُمْ ^(١)، وَاکْتَفَيْنَا بِتَسْمِيَةِ هَؤُلَاءِ كَيْ يَكُونَ مُخْتَصَرًا، وَأَنْ لَا يَطُولَ ذَلِكَ:

فَمَا رَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ:
أَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ:

(١) ويذكر أسماء العلماء، وهم أكثر من خمسين عالمًا.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: هـ] (١).
ثُمَّ يَسِرُّدُ بَقِيَّةَ اعْتِقَادِهِمْ (٢).

- (١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام اللالكائي.
- (٢) الإيمان لغة: التصديق، وإظهار الخضوع والإقرار. وشرعاً: جميع الطاعات الباطنة والظاهرة؛ فالباطنة كأعمال القلب، والظاهرة كأفعال البدن من الواجبات والمندوبات. وملخصه: هو ما قر في القلب، وصدقه العمل، وبدت ثمراته في الجوارح بامتثال أوامر الله تعالى، والابتعاد عن نواهيه، فإذا تجرد التصديق عن العمل.. فلا فائدة فيه، ولو كان التصديق المجرد عن العمل ينفع أحدًا لنفع إبليس؛ فقد كان يعرف حقاً بأن الله تعالى واحد لا شريك له، وأن مصيره لا شك إلى الله تعالى، ولكن عندما جاءه الأمر الإلهي: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. لم يشفع له علمه بالوحدانية والرؤية؛ لأنه لم يحقق توحيد العبادة الذي من أجله خلق الله الخلق؛ فالتصديق المجرد عن العمل لا قيمة له عند رب العالمين!
- فالإيمان: قولٌ وعملٌ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهو: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح. فقول القلب: اعتقاده وتصديقه، وإقراره وإيقانه. وقول اللسان: هو النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمهما. وعمل القلب: نيته، وتسليمه، وإخلاصه، وإذعائه، ورجاؤه، وخضوعه، وانقياده، وحبّه، وإرادته. وعمل الجوارح: فعل المأمورات، وترك المنهيات.

«كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»

عَنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
 «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ
 اللَّهُ لِقَاءَهُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ:
 «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ
 بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛
 فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ
 شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(١).

(١) رواه البخاري: ٦٠٢٦.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ

قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ: سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ صَافِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الصُّوفِيَّ الشَّيْخَ الصَّالِحَ بَبْغَدَادَ يَقُولُ: حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِنَا يُوسُفَ الْهَمْدَانِيِّ فِي النِّظَامِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ اجْتَمَعَ الْعَالَمُ؛ فَقَامَ فَقِيهٌ يُعْرَفُ بِابْنِ السَّقَاءِ، وَأَذَاهُ وَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ يُوسُفُ:

اجْلِسْ! فَإِنِّي أَجِدُ مِنْ كَلَامِكَ رَائِحَةَ الْكُفْرِ، وَلَعَلَّكَ تَمُوتُ عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ!

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ بِمُدَّةٍ قَدِيمٍ رَسُولُ نَصْرَانِيٍّ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلَى الْخَلِيفَةِ؛ فَمَضَى إِلَيْهِ ابْنُ السَّقَاءِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْتَصْحِبَهُ. وَقَالَ لَهُ: يَقَعُ لِي أَنْ أَتْرِكَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَدْخُلَ فِي دِينِكَ؟ فَقَبِلَهُ النَّصْرَانِيُّ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى

الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَالتَّحَقَّ بِمَلِكِ الرُّومِ، وَمَاتَ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ.
 قَالَ ابْنُ النَّجَّارِ: سَمِعْتُ أَبَا الْكَرَمِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنَ أَحْمَدَ
 الْمُقْرِيَّ يَقُولُ: كَانَ ابْنُ السَّقَاءِ قَارِئًا لِلْقُرْآنِ مُجَوِّدًا فِي تِلَاوَتِهِ،
 حَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ رَأَاهُ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مُلْقَى عَلَى دَكَّةٍ مَرِيضًا،
 وَبِيَدِهِ خَلْقٌ مَرْوَحَةٌ يَدْفَعُ بِهَا الدُّبَابَ عَنْ وَجْهِهِ، قَالَ فَسَأَلْتُهُ:
 هَلِ الْقُرْآنُ بَاقٍ عَلَى حِفْظِكَ؟ فَقَالَ: مَا أَذْكُرُ إِلَّا آيَةً
 وَاحِدَةً:

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

والباقِي أَنْسِيَتْهُ!

نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ قَضَائِهِ، وَزَوَالِ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ^(١).



(١) «الوافي بالوفيات»: ٤٨/٩، لصالح الدِّين خليل بن أيك الصَّفدي رحمته الله،

متوفى ٧٦٤هـ.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ

الذُّنُوبُ قَدْ تَخَذَلُ صَاحِبَهَا عِنْدَ الْمَوْتِ؛ فَتَحُولُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ الْحُسْنَى! إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُعَاقِبُ عَلَى السَّيِّئَةِ بِسَيِّئَةٍ
أُخْرَى، وَتَتَضَاعَفُ عُقُوبَةُ السَّيِّئَاتِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، كَمَا يُثِيبُ
عَلَى الْحَسَنَةِ بِحَسَنَةٍ أُخْرَى.

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحْتَضِرِينَ، وَجَدْتَهُمْ يُحَالُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ عُقُوبَةٌ لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْإِسْبِيلِيُّ ﷺ: وَاعْلَمْ أَنَّ لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا -
أَسْبَابًا، وَلَهَا طُرُقٌ وَأَبْوَابٌ: أَعْظَمُهَا الْانْكِبَابُ عَلَى الدُّنْيَا،
وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْآخِرَى، وَالْإِقْدَامُ وَالْجُرْأَةُ عَلَى مَعَاصِي
اللَّهِ ﷻ، وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ضَرْبٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَنَوْعٌ

مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَجَانِبٌ مِنَ الْإِعْرَاضِ، وَنَصِيبٌ مِنَ الْجُرْأَةِ
وَالْإِقْدَامِ، فَمَلَكَ قَلْبَهُ، وَسَبَى عَقْلَهُ، وَأَطْفَأَ نُورَهُ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ
حُجْبَهُ؛ فَلَمْ تَنْفَعْ فِيهِ تَذَكُّرُهُ، وَلَا نَجَحَتْ فِيهِ مَوْعِظَتُهُ، فَرُبَّمَا
جَاءَهُ الْمَوْتُ عَلَى ذَلِكَ، فَسَمِعَ النَّدَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَلَمْ
يَتَبَيَّنْ لَهُ الْمُرَادُ، وَلَا عَلِمَ مَا أَرَادَ، وَإِنْ كَرَّرَ عَلَيْهِ الدَّاعِي وَأَعَادَ.
قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ: وَقِيلَ لِآخِرٍ - مِمَّنْ أَعْرِفُهُ - قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: الدَّارُ الْفُلَانِيَّةُ أَصْلَحُوا فِيهَا كَذَا، وَابْسُتَانَ
الْفُلَانِيَّيْنِ أَفْعَلُوا فِيهِ كَذَا.

وَقِيلَ لِآخِرٍ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: أَيْنَ الطَّرِيقُ
إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ. قَالَ: وَهَذَا الْكَلَامُ لَهُ قِصَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا
كَانَ وَاقِفًا بِإِزَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ بَابُهَا يُشَبِّهُ بَابَ هَذَا الْحَمَامِ؛ فَمَرَّتْ
بِهِ جَارِيَةٌ لَهَا مَنْظَرٌ. فَقَالَتْ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ؟
فَقَالَ: هَذَا حَمَامٌ مِنْجَابٍ. فَدَخَلَتِ الدَّارَ وَدَخَلَ وَرَاءَهَا؛
فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا فِي دَارِهِ وَعَلِمَتْ أَنَّهَا قَدْ خَدَعَهَا، أَظْهَرَتْ لَهُ
الْبُشْرَى وَالْفَرَحَ بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ. وَقَالَتْ لَهُ: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ



مَعَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ عَيْشُنَا وَتَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا. فَقَالَ لَهَا: السَّاعَةَ آتِيكِ
بِكُلِّ مَا تُرِيدِينَ وَتُسْتَهِينِ، وَخَرَجَ وَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ وَلَمْ يُغْلِقْهَا؛
فَأَخَذَ مَا يَصْلُحُ وَرَجَعَ، فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ وَذَهَبَتْ، وَلَمْ
تَخُنْهُ فِي شَيْءٍ. فَهَامَ الرَّجُلُ وَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا، وَجَعَلَ يَمْشِي فِي
الطَّرِيقِ وَالْأَرْقَةِ، وَيَقُولُ:

يَا رَبَّ قَائِلَةِ يَوْمًا وَقَدْ تَعَبْتُ

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ؟

فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا يَقُولُ ذَلِكَ، إِذَا بِجَارِيَتِهِ أَجَابَتْهُ مِنْ طَاقٍ:

هَلَّا جَعَلْتَ سَرِيعًا إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا

حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ

فَارْدَادَ هَيْمَانُهُ وَاشْتَدَّ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ؛ حَتَّى كَانَ هَذَا

الْبَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ

(١) «الدَّاءُ والدَّوَاءُ»: ص ٢٥٥، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن

قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.



علامات حُسنِ الخاتمة



حُسْنُ الْخَاتِمَةِ: هِيَ أَنْ يُوفَّقَ الْعَبْدُ قَبْلَ مَوْتِهِ لِلتَّوْبَةِ عَنْ
الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ وَلِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ
علاماتٌ، منها:

❖ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ آخِرُ
كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

❖ أَنْ يَرْشَحَ جَبِينَهُ بِالْعَرَقِ.

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:
«الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ»^(٢).

❖ أَنْ يَمُوتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَتِهَا.

(١) رواه أبو داود: ٣١١٦.

(٢) رواه الترمذي: ٩٨٢.



عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ إِلَّا
وَقَّاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»^(١).

* أَنْ يَمُوتَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، أَوْ يَمُوتَ بِإِحْدَى الْمَيِّتَاتِ الَّتِي يَكُونُ صَاحِبُهَا فِي دَرَجَةِ
الشَّهِيدِ: وَهِيَ الْمَطْعُونَ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ
الْهَدْمِ وَالْحَرِيقِ، وَالْمَوْتُ بِذَاتِ الْجَنْبِ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ
وَهِيَ حَامِلٌ، أَوْ بِسَبَبِ الْوَضْعِ.

* أَنْ يُخْتَمَ لَهُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، كَصِيَامِ يَوْمٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ
ذِكْرٍ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ
عَلَى شَيْءٍ؛ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

(١) رواه الترمذي: ١٠٧٤.

(٢) رواه مسلم: ٢٨٧٨.

❖ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ وَهُوَ مُحْرِمٌ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تَمْسُوهُ بِطَيْبٍ، وَلَا تُحَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًّا»^(١).

واعلم أن ظهورَ بعضِ هذه العلاماتِ أو حدوثها للميت، لا يجرِّمُ بأن صاحبها من أهل الجنة، ولكن يبشر له بذلك، كما أنَّ عدمَ وقوعِ بعضِ هذه العلاماتِ أو حدوثها للميت لا يجرِّمُ الحكمَ بأنَّه غيرُ صالحٍ أو نحو ذلك، لأنَّ دخولَ الجنةِ أو النارِ من الغيبِ.



(١) «صحيح البخاري»: ١٥٨١.

المصادر

- ١- ابن هشام: «السيرة النبوية»، لأبي محمد عبد الملك بن هشام
ابن أيوب الحميري المعافري، المتوفى ٢١٨هـ.
- ٢- ابن سعد: «كتاب الطبقات الكبير»، لمحمد بن سعد بن منيع
البصري الزهري، المتوفى ٢٣٠هـ.
- ٣- ابن حنبل: «المسند»، للإمام أحمد، المتوفى ٢٤١هـ.
- ٤- البخاري: «صحيح البخاري»، للإمام محمد بن إسماعيل،
المتوفى ٢٥٦هـ.
- ٥- مسلم: «صحيح مسلم»، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري،
المتوفى ٢٦١هـ.
- ٦- ابن ماجه: «سنن ابن ماجه»، للإمام محمد بن يزيد بن ماجه
القزويني، المتوفى ٢٧٣هـ.
- ٧- أبو داود: «سنن أبي داود»، للإمام سليمان بن الأشعث

السجستاني، المتوفى ٢٧٥هـ.

٨- ابن قتيبة: «تأويل مُشكل القرآن»، لأبي محمد عبد الله بن

عبد المجيد بن مسلم الدينوري، المتوفى ٢٧٦هـ.

٩- الترمذي: «سنن الترمذي»، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى

ابن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، المتوفى ٢٧٩هـ.

١٠- النسائي: «سنن النسائي»، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن

أحمد بن شعيب الخراساني، المتوفى ٣٠٣هـ.

١١- ابن عبد ربه: «كتاب العقد الفريد»، للفقهاء أحمد بن محمد

الأندلسي، المتوفى ٣٢٨هـ.

١٢- ابن مروان الدينوري: «المجالسة وجواهر العلم»، لأبي بكر

أحمد القاضي المالكي، المتوفى ٣٣٣هـ.

١٣- ابن حبان: «مسند ابن حبان»، للإمام محمد بن حبان بن أحمد

ابن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبي حاتم البستي، المتوفى

٣٥٤هـ.

١٤- الطبراني: «معجم الأوسط»، للإمام سليمان بن أحمد بن

أيوب، المتوفى ٣٦٠هـ.



١٥ - التنوخي: «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»، للقاضي أبي علي المحسن بن علي بن محمد البصري، المتوفى ٣٨٤هـ.

١٦ - الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن مهران، المتوفى ٤٣٠هـ. «معرفة الصحابة»، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء».

١٧ - الخطيب البغدادي: المؤرخ العلامة أحمد بن علي بن ثابت، المتوفى ٤٦٣هـ، «تقييد العلم»، «كتاب تاريخ بغداد أو تاريخ مدينة السَّلام».

١٨ - الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِي: «محاضرات الأدباء» للأديب أبي القاسم الحسين محمد بن المفضل، المتوفى ٥٠٢هـ.

١٩ - السمعاني: «الأنساب»، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي، المتوفى ٥٦٢هـ.

٢٠ - ابن عساكر: «كتاب تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها»، للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن

عبد الله الشافعي، المتوفى ٥٧١هـ.

٢١- ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن

علي بن محمد القرشي البغدادى، المتوفى ٥٩٧هـ.

«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، «صفة الصفوة»، «مناقب

الإمام أحمد بن حنبل»، «المواعظ والمجالس»، «سيرة ومناقب

عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد»، «الأذكياء»، «أخبار الظراف

والمتماجنين».

٢٢- ابن الأثير: «الكامل في التاريخ»، عز الدين أبو الحسن علي بن

محمد الجزري، المتوفى ٦٣٠هـ.

٢٣- القرطبي: «كتاب الجامع لأحكام القرآن»، للإمام محمد بن

أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي،

المتوفى ٦٧١هـ.

٢٤- ابن خلكان: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، أبو العباس

شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، المتوفى ٦٨١هـ.

٢٥- ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن

عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، المتوفى ٧٢٨هـ.



«مجموع الفتاوى»، «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ».

٢٦- الذَّهَبِيُّ: الإمام الحافظ المؤرخ أبو عبد شمس الدِّين محمد أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني، المتوفى ٧٤٨هـ.

«سير أعلام النبلاء»، «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، «الكبائر».

٢٧- ابن قيم الجوزية: الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب، المتوفى ٧٥١هـ.

«زاد المعاد في هدي خير العباد»، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، «الوابل الصيب من الكلم الطيب».

٢٨- ابن أبيك الصفدي: «كتاب الوافي بالوفيات»، صلاح الدِّين خليل، المتوفى ٧٦٤هـ.

٢٩- ابن كثير: «البداية والنهاية»، للحافظ عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر القرشي الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ.

٣٠- ابن رجب الحنبلي: «تفسير ابن رجب الحنبلي»، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، المتوفى ٧٩٥هـ.

٣١- المقرئزي: «دُرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»،

- تقي الدين أحمد بن علي، المتوفى ٨٤٥هـ.
- ٣٢- ابن حجر: «تهذيب التهذيب»، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي شهاب الدين العسقلاني الشافعي، المتوفى ٨٥٢هـ.
- ٣٣- الألبشيهي: «المستطرف في كل فن مستظرف»، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح، المتوفى ٨٥٢هـ.
- ٣٤- ابن تغري بردي: «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، المتوفى ٨٧٤هـ.



تمت بحمد الله

الفهرس

- مقدمة..... ٥
- ١- لا يَحْصُلُ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بَعْدَ الزُّهْدِ..... ٩
- ٢- نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيَعْمَلَ بِهِ..... ١٠
- ٣- لِيَكُنْ هُومُهُ فِي إِحْكَامِهِ..... ١١
- ٤- مَحَبَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ..... ١٢
- ٥- خَلَّنِي وَرَبِّي أَبْعَثَ عَلَيَّ رَقِيبًا..... ١٣
- ٦- ﴿وَمَا يَأْمُرُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾..... ١٤
- ٧- إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ..... ١٧
- ٨- فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدْ اسْتُصْغِرَ..... ١٩
- ٩- مِثْلُ لَعْلَاءِ السُّوءِ..... ٢٠
- ١٠- خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ عَلَى قَدَحٍ وَاحِدٍ مِنْ مَاءٍ..... ٢١
- ١١- رَجَعَتِ الْحِيلَةُ عَلَيْهِ..... ٢٢
- ١٢- لِئَلَّا يُفْسِدَ عَلَيْكَ دِينَكَ..... ٢٤
- ١٣- وَقَعَتِ الْهَيْبَةُ لِلْمَلِكِ..... ٢٥
- ١٤- لَيْسَ التَّقِيَّةُ بِالْعَمَلِ إِنَّمَا التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ..... ٢٦

- ١٥- «يَقُولُونَ سَرَفْتَ، زَنْيْتَ، وَلَمْ تَفْعَلْ»..... ٢٧
- ١٦- لَا تُتْعَبْ فَرَسَكَ..... ٣٣
- ١٧- فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بِمَنْ تَقْتَدِي..... ٣٥
- ١٨- «اَتَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»..... ٣٦
- ١٩- «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»..... ٣٧
- ٢٠- فَاشْتَرَيْنَا لِسَانَهُ..... ٣٨
- ٢١- أَصْعَبُ الْأُمُور..... ٤٠
- ٢٢- لَا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ..... ٤٢
- ٢٣- قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ..... ٤٣
- ٢٤- أَخَافُ أَنْ تَرْهَنَ كِتَابِي..... ٤٤
- ٢٥- هُوَ وَلَعِبُ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ..... ٤٥
- ٢٦- بَغْدَادُ دَارُ السَّلَامِ..... ٤٦
- ٢٧- أَتَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ..... ٤٨
- ٢٨- مَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِنِعْصِ ذُنُوبِهِمْ..... ٥٠
- ٢٩- حَقِيقَةُ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ..... ٥٢
- ٣٠- الْمَجَاعَةُ الْكُبْرَى فِي الْقَاهِرَةِ..... ٥٦
- ٣١- سَبُّ الصَّحَابَةِ أَيَّامَ الْعَبِيدِيِّينَ..... ٥٨
- ٣٢- غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِمِصْرَ..... ٥٩



- ٣٣- الْغَدْرُ يَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ..... ٦٢
- ٣٤- مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا..... ٦٤
- ٣٥- أَسْبَابُ نِهَايَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ..... ٦٦
- ٣٦- الْيَهُودُ قَوْمٌ بَهَتْ كَثِيرًا وَالْغَدْرُ وَالْخِيَانَةُ..... ٦٨
- ٣٧- مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ..... ٧٤
- ٣٨- لَا تَأْتِ السُّلْطَانُ..... ٧٥
- ٣٩- كَمْ أَنْفَقَتْ فِي الْحَجِّ..... ٧٦
- ٤٠- كُلُّكُمْ مَجَانِينُ..... ٧٨
- ٤١- إِلَّا أَلْقَيْتَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءُ..... ٧٩
- ٤٢- «لُكْعُ ابْنِ لُكْعٍ»..... ٨١
- ٤٣- سَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُهَا..... ٨٣
- ٤٤- آثَارُ الْمَعْصِيَةِ..... ٨٤
- ٤٥- مَنْ مَعْصُومٌ مِنَ الْبَلَاءِ..... ٨٥
- ٤٦- أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ..... ٨٦
- ٤٧- أَكُلُ الْحَلَالِ..... ٨٨
- ٤٨- لَا تُطْعِمُنَا إِلَّا طَيِّبًا..... ٨٩
- ٤٩- نَسَلَمَ وَيَسْلَمُونَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُؤْجَرَ وَيَأْتَمُونَ..... ٩١
- ٥٠- كَيْفَ يُضَيِّعُنِي..... ٩٣

- ٥١- لَوْ كَذَبَ أَحَدٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَقَتَلُوهُ..... ٩٧
- ٥٢- نِظَامُ الْمَلِكِ وَزِيرُ السَّلَاجِقَةِ..... ٩٨
- ٥٣- «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ»..... ١٠١
- ٥٤- «صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ»..... ١٠٢
- ٥٥- أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ..... ١٠٥
- ٥٦- «هَادٍ يَهْدِينِي»..... ١٠٧
- ٥٧- حَفِظْتُ الْقُرْآنَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ..... ١٠٨
- ٥٨- أَرَدْتُ لِنَفْسِي خَيْرًا مِنْ دُونِ النَّاسِ..... ١١٠
- ٥٩- مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ..... ١١١
- ٦٠- أَيْسُرُكَ أَنْ تَمُوتَ..... ١١٢
- ٦١- مِنْ كَرَامَاتِ الصَّحَابَةِ ﷺ..... ١١٤
- ٦٢- وَلِيَ اللَّهُ لَا يَخَالِفُ فِي شَيْءٍ..... ١١٤
- ٦٣- إِجْمَاعُ أَهْلِ السَّنَةِ عَلَى وَجُوبِ السَّكُوتِ
- عَمَّا كَانَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ..... ١٢١
- ٦٤- إِذَا كُسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا..... ١٢٣
- ٦٥- أَرْخُوا التَّارِيخَ..... ١٢٦
- ٦٦- الدَّاءُ، وَالدَّوَاءُ، وَالشِّفَاءُ..... ١٢٩
- ٦٧- فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِخَيْرٍ..... ١٣٠



- ٦٨- «بَارَكَ اللهُ لَكُمْ»..... ١٣١
- ٦٩- سَتَرَكَ اللهُ كَمَا سَتَرْتَنِي..... ١٣٣
- ٧٠- مَا كُنْتُ لَأُطِيعَهُ فِي الْمَلَأِ وَأَعْصِيَهُ فِي الْخَلَاءِ..... ١٣٥
- ٧١- وَهَلْ يُسْفِكُ الدَّمَ وَتُرَكَّبُ الْعِظَائِمُ إِلَّا بِالنَّمِيمَةِ..... ١٣٧
- ٧٢- سُوءُ عَاقِبَةٍ لَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ..... ١٣٨
- ٧٣- مَزَقَ اللهُ مُلْكَهُ..... ١٣٩
- ٧٤- يُوَالُونَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ..... ١٤٠
- ٧٥- ذَكَرَ مَسْجِدَ قَرْطَبَةَ الْأَعْظَمِ..... ١٤١
- ٧٦- «لَا يَرْتَفِعُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»..... ١٤٣
- ٧٧- تَكْثِيرُ الشُّهُودِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ..... ١٤٤
- ٧٨- «اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ»..... ١٤٦
- ٧٩- كَمَا تَدِينُ تُدَانُ..... ١٤٧
- ٨٠- ذَنْبُ الزَّنى..... ١٤٨
- ٨١- مَفَاسِدُ الزَّنى..... ١٤٩
- ٨٢- رَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَرَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى
- مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ..... ١٥٠
- ٨٣- مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَضَالُّونَ..... ١٥١
- ٨٤- الْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا..... ١٦٠

- ٨٥- أَفَقَلْتُ قَتِيلًا ١٦١
- ٨٦- المظلوم لا يهدأ والظالم لن يهدأ ١٦٢
- ٨٧- «وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» ١٦٤
- ٨٨- نافق حنظل! ١٦٦
- ٨٩- مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ١٦٨
- ٩٠- «مَنْ كَانَ فِتْرَتُهُ إِلَى سِتِّي فَقَدْ اهْتَدَى» ١٦٩
- ٩١- فَضَّلَ نَبِيَّ اللَّهِ يُوسُفَ عليه السلام ١٧١
- ٩٢- وَلَسْتُ أَبْرِيءُ نَفْسِي ١٨١
- ٩٣- أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ١٨٣
- ٩٤- لَكَ بِهَا سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٌ ١٨٤
- ٩٥- «وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ» ١٨٥
- ٩٦- الإِيْمَانُ: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ ١٨٦
- ٩٧- «كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» ١٨٨
- ٩٨- نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ ١٨٩
- ٩٩- نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ ١٩١
- ١٠٠- علاماتُ حُسْنِ الخاتمة ١٩٤
- المصادر ١٩٧
- الفهرس ٢٠٣

1992

